روايات مصرية للجيب

قضية القضايا

٢٠٤

٥٠

د. نبيل فاروق

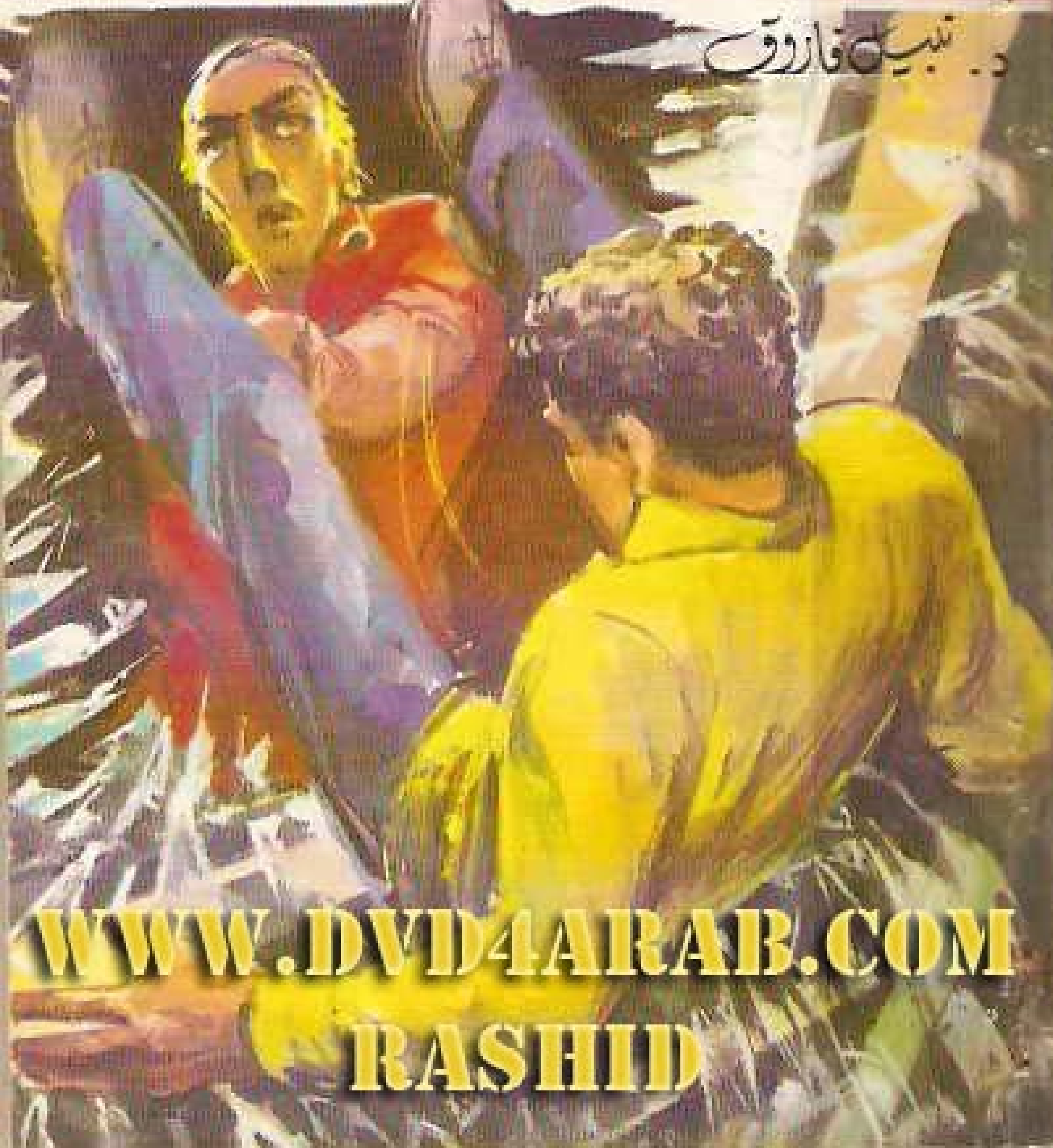

WWW.DVD4ARAB.COM
RASHID

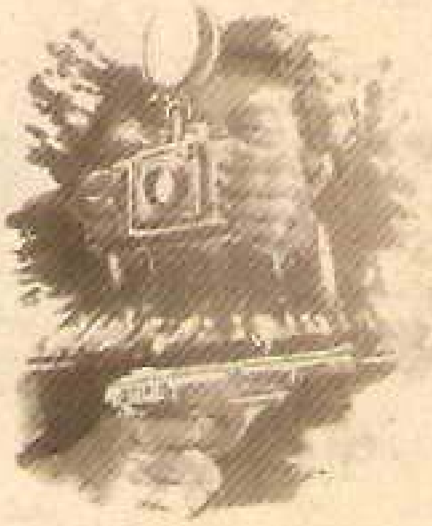

١ ــ البداية ..

تثاءب (عصام كامل) فى قوة ، وهو يغادر سيارته ، أمام مبنى الجريدة ، وبدت ملامحه أشبه بصورة مثالية للتعب والإرهاق ، مما جعل عم (أمين) ، المسئول عن موقف السيارات ، يتجه إليه ، ويسأله فى رفق وحنان :

ــ صباح الخير يا ولدى .. ماذا بك ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة مرهقة ، وهو يقول :

ــ صباح الخير يا عم (أمين) .. إنه العمل .. عملنا .

ثم التقط آلة التصوير الخاصة به من السيارة ، وهو يستطرد :

ــ أتعلم يا عم (أمين) .. أننى أتصوّر أحيانًا أن عملى هو لعنتى ؟

رفع العجوز حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

ــ لعنتك ؟!

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وهو يتثاءب مرّة أخرى ، قائلًا :

— بالطبع .. قل لى يا عم (أمين) : أين قضيت ليلة أمس ؟

أجابه العجوز فى حيرة :

— فى فراشى بالطبع .

هتف (عصام) .

— أما أنا ، فقد كنت أحلم بذلك فحسب .

تطلّع إليه العجوز ، فى مزيد من الدهشة والحيرة ، وبدا واضحًا فى نظرته أنه قد بات يتشكّك فى قواه العقلية ، قبل أن يزفر (عصام) فى قوة ، ويقول فى حدة :

— لقد قضيت ليلتى فى العراء ، فى الصحراء الغربية .

حدّق الرجل فى وجهه ، هاتفًا فى دهشة :

— ماذا ؟!

ابتسم (عصام) لدهشة العجوز ، وقال :

— هذا صحيح يا عم (أمين) .. لقد أبلغنى أحد أصدقائى ، فى قسم مكافحة المخدرات ، أنهم يعدون كمينًا ليليًا ، لبعض مهربى المخدرات ، فى الصحراء الغربية ، فانضممت إليهم ، وكانت ليلة ليلاء .

تمتم عم (أمين) فى انفعال :

— يا إلهى !!

راق انفعاله لـ (عصام) ، فاستطرد فى حماس :

— لقد جاء مهربو المخدرات ، وهم يتصوّرون أنهم فى مأمن ، وفجأة أضاء رجال الشرطة كشّافاتهم القوية ، وأحالوا ظلمة الليل إلى نهار ، وارتفع صوت قائدهم ، يأمر المهربين بالاستسلام ، ولكنهم قاوموا ، وأطلقوا النار على رجال الشرطة ، وتبادل الرجال معهم الرصاصات ، فأصابوا خمسة ، وألقوا القبض على الباقين .

كان عم (أمين) يستمع إليه مبهورًا ، فاغرًا فاه ، مما جعل ابتسامة (عصام) تتسع ، وهو يقول فى زهو :

— ولقد التقطت صور كل هذا .

هتف (أمين) ، وقد شملته حماسة شديدة :

— رائع .

تنهّد (عصام) ، وقال :

— ألم أقل لك يا عم (أمين) .. إن عملنا لعنة ؟

هتف عم (أمين) :

— بل هو نعمة .

هزّ (عصام) كتفيه ، مغمغمًا :

— ربّما .

قالها واتجه نحو المبنى فى خطوات متكاسلة ، وأرخى جسده داخل المصعد ، الذى حمله إلى الدور السادس ، حيث قسم متابعة الحوادث ، وتثاءب للمرة الثالثة ، وهو يدلف إليه ، هاتفًا :

— صباح الخير يا رفاق .

جاوبته عاصفة من التحيات والابتسامات ، وسأله رئيسه فى إشفاق ، وهو يتابعه ببصره :

— قل لى يا (عصام) .. ألم تنم منذ أمس ؟

لوَّح (عصام) بسبَّابته ، وحاول أن يبتسم ، وهو يغمغم :

— مطلقًا .

ثم رفع سمَّاعة هاتفه ، وقال :

— أرسلوا أى شخص من قسم التصوير ، فلدىَّ هنا بعض الصور السلبية ، أريد إظهارها على الفور .

وأعاد سمَّاعة الهاتف ، وهو يتابع حديثه مع رئيسه ، قائلًا :

— لقد قمت بتغطية حملة ضد تجار المخدرات .

هتف رئيسه فى حماس :

— رائع .. أهذه الصور تخصها ؟

أومأ (عصام) برأسه مبتسمًا ، فابتسم رئيسه بدوره ابتسامة عريضة ، وربَّت على كتفه ، قائلًا :

— رائع يا (عصام) .. لقد أصبحت أفضل رجال متابعة الحوادث ، فى صحافة الشرق الأوسط .

تمتم (عصام) :

— شكرًا يا سيِّدى .

وأسبل جفنيه ، مغمغمًا :

— ولكننى أتمنى النوم .

سأله رئيسه مشفقًا :

— لِمَ لا تعود إلى منزلك ؟.. لست ملزمًا بالعمل هنا ، ما دمت كنت تعمل طيلة الليل .

ابتسم (عصام) ، وهو يتمتم :

— إننى أنتظر رؤية الصور .. لقد وعدت الرائد (مصطفى) ، قائد الحملة ، أن أمنحه إيَّاها اليوم .. وأنت لا تعرف الرائد (مصطفى) .

ومن سوء حظ رئيس القسم ، أنه لم يكن يعرف الرائد (مصطفى) حقًّا ..

هذا لأنه لن يملك أن يفعل فيما بعد ..

أبدًا ..

* * *

قرأ مدير الأمن ذلك التقرير ، الذى قدَّمه الرائد (مصطفى) ، وراجعه مرة أخرى فى إمعان ، ثم ابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يقول لـ (مصطفى) :

— ممتاز أيها الرائد .. كان عملًا جيِّدًا .. هل ألقيت القبض على الجميع ؟

أجابه (مصطفى) فى احترام :

— كل من كان هناك يا سيِّدى .

تنهَّد مدير الأمن ، قائلًا :

— حسنًا .. هذا يضيف انتصارًا جديدًا لكم ، يا رجال مكافحة المخدرات .

لاحظ ، وهو يلقى عبارته ، أن الرائد (مصطفى) يترنَّح تقريبًا ، ويقف فى صعوبة ، فعقد حاجبيه ، وهو يتفرَّسه فى إمعان ، قبل أن يخفض منظاره الطبىّ ، ويقول فى لهجة تحمل رنة إشفاق :

— منذ متى لم تذق النوم يا (مصطفى) ؟

انتفض الرائد (مصطفى) ، وكأنما أيقظه السؤال من سبات فعلى ، وأسرع يقول فى توتر :

— معذرة يا سيِّدى .. إننى لم أذق النوم منذ صباح أوَّل أمس .

رفع مدير الأمن حاجبيه فى دهشة ، ثم غمغم فى إشفاق :

— يا إلهى !! .. إنك تقتل نفسك هكذا يا ولدى .

تمتم (مصطفى) فى تهالك :

— إنه العمل يا سيِّدى .

مطَّ مدير الأمن شفتيه ، وقال :

— العمل لم يطالبك بالانتحار .

ثم استعاد حزمه ، مستطردًا :

— هيَّا .. عُد إلى منزلك .. إننى أمنحك إجازة اليوم .. اذهب ، ونَم ، ولا تستيقظ إلا حينما يحلو لك .

غمغم الرائد (مصطفى) معترضًا :

— ولكن يا سيِّدى .. التقرير ..

قاطعه مدير الأمن فى حزم :

— لقد تم إلقاء القبض على العصابة ، ويمكن للتقرير أن ينتظر .. هيَّا .. اذهب .. هذا أمر .

أدَّى (مصطفى) التحية العسكرية ، وغادر مكتب رئيسه فى امتنان ، واتجه على الفور إلى سيارته ، فاستقلها متجهًا إلى منزله ، ولم يكد يصل إليه ، حتى زفر فى قوة .. مغمغمًا :

— يا إلهى !! .. لم أتصوَّر أبدًا أن أصل فى سلام .

أغلق سيارته ، وراح يصعد فى درجات سلم المنزل فى إعياء ، وبحث طويلًا عن سلسلة مفاتيحه ، ليدسها فى ثقب المفتاح ، ثم دفع الباب ، وتثاءب فى قوة ، مغمغمًا :

ــ رباه !!.. حقًا ، لا يوجد مكان فى العالم كله ، أفضل من البيت ، و .....

وفجأة دفع أحدهم باب المنزل ، وأحاط عنق (مصطفى) بسلك غليظ ، واعتصره فى قوة ..

اعتصره حتى الموت ..

* * *

وفجأة دفع أحدهم باب المنزل ، وأحاط عنق (مصطفى) بسلك غليظ ، واعتصره فى قوة : اعتصره حتى الموت ..

٢ ـــ القاتل ..

أضيئت كشافات الشرطة القوية ، وأحالت المكان إلى نهار ، وسط ظلام الليل ، الذى يسيطر على الصحراء كلها ، وهتف أحد رجال الشرطة :

ـــ استسلموا أو نطلق النار ..

ورفع (عصام) آلة التصوير ، وألصق عدسة الرؤية على عينه ، واستعد لالتقاط المشهد ..

ولكن ..

كان رئيسه يجلس فى ساحة المعركة ..

كان هادئًا ، تقفز أصابعه فوق حروف الآلة الكاتبة ، كما يفعل عادةً فى مكتبه ..

وكانت الرصاصات تنهال من حوله ..

وصرخ (عصام) :

ـــ احترس يا سيِّدى ..إنك فى موضع بالغ الخطورة ..

لم يلتفت إليه رئيسه ..

لم يبد حتى أنه يسمعه ..

كان يواصل عمله فى هدوء ..

حتى من يحيطون به من المهربين ، كانوا يتجاهلون أمره تمامًا ..

وصرخ (عصام) مرة أخرى :

ـــ أوقفوا إطلاق النار .. إنكم ستقتلونه .

وفجأة سمع من خلفه صوتًا مألوفًا ، يقول :

ـــ اطمئن .. لن يصاب .

التفت إلى مصدر الصوت ، ورأى العقيد (خيرى) ، فقال له فى حدة :

ـــ لا تتركه هكذا .. ينبغى أن تتدخل ، وتنقذه .

هزَّ العقيد (خيرى) كتفيه ، وهو يقول :

ـــ ليس هذا من شأنى ، فأنا أرأس المباحث الجنائية ، ولا صلة لى بقسم مكافحة المخدرات .

صاح (عصام) :

ـــ ولكنك رجل شرطة .

أجابه فى هدوء :

ـــ لست أملك سلاحًا .

ثم أشار إليه ، مستطردًا :

— أنت وحدك تملكه .

صاح (عصام) :

— إنها آلة تصوير ، و .....

بتر عبارته بغتة ، عندما نظر إلى آلة التصوير ..

إنها لم تعد كذلك ..

لقد صارت مدفعًا ..

مدفعًا آليًا ..

وهتف (عصام) :

— أنت على حق .. سأنقذه أنا .

استدار إلى حيث يجلس رئيسه ، ولكنه لم يجده ، فصاح فى ذعر :

— أين هو ؟.. أين ؟

برز أمامه فجأة رجل شرس الملامح ، صوَّب إليه مسدسه ، هاتفًا :

— أنت قاتل .. إذن فأنت تستحق القتل .

أسرع (عصام) يصوِّب إليه مدفعه الآلى ، وضغط الزناد ..

ولكن المدفع لم يُطلق رصاصة واحدة ..

وأطلق الرجل ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— لن تفلح .. أنت فاشل .

ثم استطرد فى وحشية :

— وستموت يا (عصام) .. ستموت يا أستاذ (عصام) ..

ارتجف (عصام) فى رعب ..

والصوت يتردَّد ..

يا أستاذ (عصام) ..

يا أستاذ (عصام) ..

انتفض فجأة على ملمس أصابع تداعب ذراعه ، وقفز من مقعده هاتفًا :

— لا .

فوجئ بقسم الحوادث كله يتطلَّع إليه فى دهشة وقلق ، وسمع رئيسه يقول :

— ماذا هناك يا (عصام) ؟.. أهو كابوس ؟

انتبه (عصام) إلى الواقع ..

كان كل هذا مجرَّد حلم ..

— مجرَّد كابوس ..

ولقد حمد الله (سبحانه وتعالى) على أنه كذلك ، وزفر فى قوة ، مغمغمًا :

ــ يبدو ذلك .

وتنهّد مرة أخرى ، وهو يستطرد :

ــ لقد استسلمت للنوم ، و .....

قاطعه رئيسه فى حنان :

ــ لا بأس .. كنت تحتاج إليه بالفعل .

تنهّد مرة ثالثة ، وأومأ برأسه ، مغمغمًا :

ــ هذا صحيح .

سمع صوتًا يهمس فى حذر :

ــ أستاذ (عصام) .

التفت إلى مصدر الصوت فى حدة ، وهو يقول :

ــ ماذا هناك ؟

تراجع شاب نحيل أمامه ، وهو يقول :

ــ معذرة يا أستاذ (عصام) .. لم أكن أعلم أنك ستفزع هكذا ، عندما أوقظك .

قال فى عصبية :

ــ وماذا تريد ؟

أجابه الشاب فى توتر :

ــ أنت طلبت إرسال شخص من قسم التصوير .

غمغم (عصام) فى حيرة :

ــ قسم التصوير ؟!

ثم تذكَّر الأمر بغتة ، فهتف :

ــ آه .. كنت قد نسيت .

وأسرع يلتقط آلة التصوير ، ويُخرج منها الفيلم ، قائلًا :

ــ خذ .. أريد هذه الصور الآن .

التقط الشاب الفيلم السلبى ، وأسرع يبتعد ، فى حين قال رئيس القسم لـ (عصام) :

ــ اسمع يا (عصام) .. لن يمكنك المواصلة على هذا النحو .. عد إلى منزلك ، وسنرسل نحن الصور للرائد (مصطفى) ، و .....

قاطعه (عصام) :

ــ كلَّا يا سيِّدى .. لقد وعدته ، و .....

قاطعه رنين جرس الهاتف ، فالتقط سمَّاعته ، قائلًا :

ــ هنا (عصام كامل) ، من قسم الحوادث ، من الـ .....

بتر عبارته ، ليهتف مبتسمًا :

ــ العقيد (خيرى) ؟!.. كيف حالك ؟.

اتسعت عيناه بغتة ، وأطلّ منهما مزيج من الذهول والذعر والاستنكار ، جعلت رئيسه يسأله فى قلق :

ــ ماذا هناك ؟

بدا وكأن (عصام) لم يسمعه قط ، وهو يهتف :

ــ متى حدث هذا ؟

صمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى حدة :

ــ سأحضر على الفور .

وأعاد سمّاعة الهاتف فى عنف ، ثم هبّ من مقعده ، فعاد رئيسه يسأله فى توتر بالغ ، جذب انتباه كل أفراد القسم :

ــ ماذا هناك ؟

أجابه (عصام) ، وهو يندفع نحو الباب :

ــ لقد قُتِل .

هتف به رئيسه فى انفعال :

ــ من هذا ؟

ولكنه لم يتلق جوابًا ، فقد كان (عصام) قد ابتعد .. ابتعد كثيرًا ..

* * *

بذل (عصام) جهدًا فائقًا ، لكبت دموع القهر والمرارة ، التى تشاركت مع تلك الغُصّة فى حلقه ، فى محاولة لدفعه إلى البكاء ، وهو يتطلّع إلى جثة الرائد (مصطفى) ، ورجال المعمل الجنائى يحملونها بعيدًا ..

لم يكن يصدّق أن هذه الجثة الباردة ، الخالية من الحياة ، كانت منذ ساعات قلائل تنبض بروح التحدى والنضال ..

لم ينجح حتى فى استيعاب الأمر ..

وإلى جواره ، سمع صوت العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى حزن ومرارة :

ــ لقد كان المسكين ينشد النوم ، ومن المؤكّد أنه لم يحنف إليه كلمة الأبدى ..

النوم ؟!..

بدت الكلمة عجيبة فى أذنى (عصام) !.

لم يفهم ــ فى تلك اللحظة ــ ما الذى تعنيه !.

صحيح أنه كان بدوره ينشد النوم ، ولكنه الآن لم يعد يرغب فيه قطُّ ..

لقد طارت كل المشاعر من ذهنه ..

كلها إلا الحزن والألم والمرارة ..

وبكل تلك الانفعالات ، سأل العقيد (خيرى) :

ــ كيف كشفتم الحادث ؟

تنهَّد العقيد (خيرى) فى مرارة ، وهو يقول :

ــ لقد حدث ذلك بالمصادفة البحتة .. لقد غادر (مصطفى) ــ رحمه الله ــ مبنى مديرية الأمن ، متجهًا إلى منزله ، ليستسلم للنوم ، بعد ليلة أمس ، التى قضاها فى مطاردة مهربى المخدرات ، ولكنه نسى بطاقته الرسمية فى مكتبه ، فأرسل زميله الرائد (حسين) خلفه أحد جنود الشرطة ، ليعيد إليه بطاقته ، وعندما وصل الجندى إلى هنا ، كان الباب مفتوحًا ، ولقد وجد جثة المسكين ، و .....

بتر عبارته ، ليزدرد لعابه ، أو ليخفى انفعاله ، فى حين هتف (عصام) فى مرارة :

ــ ولكن لماذا ؟..

تنهَّد (خيرى) مرة أخرى ، وقال :

ــ لقد كان (مصطفى) ناجحًا فى عمله ، والنجاح فى مثل مهنتنا ، يخلق الكثير من الأعداء ؛ لأنه يعنى أن عددًا كبيرًا من المجرمين قد سقط على يديه .

قال (عصام) فى حدة :

ــ مثل من ؟

هزَّ (خيرى) كتفيه ، وقال :

ــ هذا يحتاج إلى بحث .

صمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ــ ولكن ..

هتف (عصام) فى لهفة :

ــ ولكن ماذا ؟

عقد (خيرى) حاجبيه ، وقال :

ــ لقد كان القاتل يسعى خلف شىء ما .

تصاعد الانفعال فى نفس (عصام) ، وهو يقول :

ــ يبحث عن ماذا ؟

هزَّ (خيرى) كتفيه ، وهو يقول فى ضيق :

ــ لست أدرى ، ولكنه فتَّش ملابس (مصطفى) جيِّدًا ، وإن لم يحاول تفتيش المنزل .

قال (عصام) :

ــ ربما لأن الجندى قد فاجأه بالحضور .

أجابه (خيرى) فى حزم :

ــ لا .. ليس هذا هو السبب ؛ لأن الجندى لم يجد أحدًا هنا ،

عندما وصل إلى المكان ، ولقد اتصل بنا من المنزل ، وظلّ واقفًا عند الباب حتى وصلنا .

تمتم (عصام) فى حيرة :

ــ عجبًا !

ثم حمل آلة التصوير ، مستطردًا فى صرامة :

ــ ولكن كل شىء يمكن حسمه .

سأله (خيرى) فى دهشة :

ــ كيف ؟

تردَّد (عصام) لحظة ، ثم قال فى حزم :

ــ معذرة يا سيادة العقيد ، سأخالف أوامرك هذه المرة ، وألجأ إليهما ..

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ــ إلى ولديك (عماد) و (غُلا) ..إلى فريق (ع × ٢) .

* * *

٣ ــ الفريق ..

تنهَّدت (غلا) ، بعد أن استمعت مع شقيقها إلى حديث (عصام) ، وقالت فى اهتمام :

ــ أأنت واثق من أن القاتل لم يبحث عن شىء فى منزل الرائد (مصطفى) (رحمه الله) ؟

أجابها (عصام) فى مرارة :

ــ لقد أكَّد والدكما ذلك ، ولا ريب أن هذا التأكيد يحمل الكثير من الثقة والخبرة ، والبحث .

تمتم (عماد) :

ــ عجبًا !!.. هذا لا يعنى سوى شىء واحد .

سأله (عصام) فى انفعال :

ــ ما هو ؟

أجابته (غُلا) :

ــ أن القاتل كان يبحث عن شىء محدود ، يحمله الرائد (مصطفى) .

عقد (عصام) حاجبيه فى حَيْرَة ، وهو يغمغم :

— يحمله ؟!.. مثل ماذا ؟

أجابه (عماد) :

— هذا يتوقَّف على ما كان يحمله بالفعل .

ازداد انعقاد حاجبى (عصام) ، وهو يقول :

— شىء يحمله ؟!.. وما المفروض أن يحمله (مصطفى) — رحمه الله ؟.. — مسدسه مثلًا ؟!

غمغمت (غلا) :

— لا أحد يقتل ضابطًا من أجل مسدس !

تنهَّد ، وهو يقول فى حَيْرَة :

— ماذا إذن ؟.. إنه لن يقتله من أجل بطاقته الرسمية ، ولا من أجل نقوده ، ثم إنه لم يكن لصًا عاديًا ، اضطر لقتل صاحب المنزل ، عندما فاجأه ، لأنه لم يسرق شيئًا ، أو يبحث عن شىء !!..

عقدت (غلا) حاجبيها ، وتبادلت نظرة متردِّدة مع شقيقها (عماد) ، قبل أن تسأل (عصام) فى خُفُوت :

— قل لى يا أستاذ (عصام) : ما المفروض أن تفعله بتلك الصور ، التى التقطتها فجر اليوم ؟

تطلَّع إليها فى حيرة ، وهو يجيب :

— كان المفروض أن أرسلها ، فور الانتهاء من إظهارها ، إلى الرائد (مصطفى) ، و .....

بتر عبارته فجأة ، واتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. أتعنيان أنها ..؟

أجابه (عماد) فى سرعة :

— إنه مجرَّد احتمال يا أستاذ (عصام) ، فمن الممكن أن يكون ذلك القاتل قد هاجم الرائد (مصطفى) ، متصوّرًا أنه يحمل تلك الصور ، التى التقطتها أنت .

ازداد اتساع عينى (عصام) ، وهو يهتف :

— ولكن لماذا ؟.. لقد ألقينا القبض على الجميع ، و .....

قاطعته (غلا) فى تردّد :

— ربما ليس الجميع يا أستاذ (عصام) .

كادت عينا (عصام) تقفزان من محجريهما ، وهو يهتف :

— أتعنيان أنه من المحتمل أن أحدهم قد نجح فى الفرار ، ولكننى قد التقطت صورته ، دون أن أدرى ، وأنه يعلم ذلك ، ويعلم أيضًا أننى سأعطى الصور للرائد (مصطفى) ، و .....

بدا الأمر واضحًا جليًا — بالنسبة إليه — حتى أنه لم يستطع إتمام عبارته ، بل أضاف فى هلع :

ـــ يا إلهى !

ثم أضاف فى ذعر :

ـــ لو أن هذا الاحتمال صحيح ، فلن يتوقّف ذلك القاتل الغامض ، قبل أن يحصل على الصور .

أسرعت (غلا) تقول :

ـــ وفى الوقت نفسه ، نستطيع نحن تعرّفه ، وإلقاء القبض عليه ، بفحص الصور جيّدًا .

هتف (عصام) فى انفعال :

ـــ نعم .. الصور .

وانعقد حاجباه فى قوة ، وهو يضيف :

ـــ لابد من الحصول عليها أوّلًا .

سأله (عماد) فى لهفة :

ـــ أين هى يا أستاذ (عصام) ؟

أجابه (عصام) ، وهو يهبّ من مقعده :

ـــ إنها هناك ، فى مبنى الجريدة .. لقد تركتها مع (طاهر) ، ذلك الشاب الذى يعمل فى قسم التصوير ، لإظهارها ، و......

التقط آلة التصوير فى سرعة ، واندفع خارجًا ، وهو يهتف :

ـــ سأذهب لاستعادتها على الفور .. انتظرانى .

صاحت (غلا) :

ـــ انتظر يا أستاذ (عصام) .. انتظر ..

ولكن (عصام) كان قد غادر المكان ، وهو يحمل انفعالاته كلها فى قدميه ، وقفز داخل سيارته ، وانطلق بها نحو الجريدة ، فغمغم (عماد) :

ـــ إنه يتصرّف بتلقائية شديدة .

تنهّدت (غلا) ، مغمغمة :

ـــ نعم .. أتمنى أن يفلح أسلوبه هذا ، لقد أردته أن يحذّر قسم التصوير هاتفيًّا ، خشية أن ....

بترت عبارتها ، وتنهّدت ، مستطردة :

ـــ حسنًا .. فليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير .. إنه القدر .

* * *

غادر (طاهر) قسم التصوير فى نشاط ، وأخذ يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، وهو يحمل مظروفًا أنيقًا ، متجهًا نحو المصعد ، ولم يكد ينحنى فى المنعطف القريب من باب القسم ، حتى ارتطم برجل مفتول العضلات ، عريض المنكبين ، وسيم الملامح ، تطلّع إليه بنظرة صارمة ، جعلته يرتبك ، مغمغمًا :

ولم يكد ينحنى فى المنعطف القريب من باب القسم ، حتى ارتطم برجل مفتول العضلات ، عريض المنكبين ، وسيم الملامح ..

ــ معذرة يا سيِّدى .. لقد كنت مسرعًا ، و .....

لم يجبه الرجل ، بل واصل التطلّع إليه بعينيه الصارمتين ، حتى أن (طاهر) بتر عبارته ، وغمغم فى مزيد من الارتباك :

ــ تقبَّل أسفى .

لانت ملامح الرجل ، وهو يقول فى برود :

ــ لا عليك .

ثم أضاف فى لهجة بدت حازمة صارمة :

ــ أين أجد الصحفى (عصام كامل) ؟

هتف (طاهر) :

ــ (عصام) !!.. إنه هناك ، فى الطابق السادس .. إننى فى طريقى إليه الآن .

بدا الاهتمام فى عينى الرجل ، وهو يتطلَّع إلى المظروف الأنيق ، الذى يمسك به (طاهر) ، قائلًا :

ــ فى طريقك إليه ؟!.. لماذا ؟

أجابه (طاهر) فى ارتباك :

ــ إننى أحمل إليه بعض الصور .

تألّقت عينا الرجل ، وهو يقول :

ــ بعض الصور ؟!.. أية صور ؟

ازدرد (طاهر) لعابه ، وقاوم تلك الرجفة الغامضة ، التى سرت فى أوصاله ، وهو يجيب فى اضطراب :

ــ الصور التى التقطها أمس ، و .....

لم يكد يتم عبارته ، حتى تراجع فى رعب ، وقد بدت له عينا الرجل كعينى فهد جريح ، زادته جراحه وحشية وشراسة ، وانتفض جسده فى قوة ، عندما رأى فوهة مسدس مزوّد بكاتم للصوت ، فى يد الرجل ، الذى يقول فى غلظة وقسوة :

ــ حسنًا .. سآخذها أنا .

تمتم (طاهر) فى رعب :

ــ أنت ؟!.. من أنت ؟.. وماذا تريد ؟

تقدّم الرجل نحوه ، واختطف المظروف من يده فى شراسة ، ومزّقه فى عنف ، وأخرج منه الصور ، وراح يراجعها فى سرعة ، حتى توقّف عند صورة خاصة ، تنهّد بعدها فى ارتياح ، ثم أعاد الصور كلها إلى جيبه ، مع مسدسه ، وهو يسأل (طاهر) فى صرامة :

ــ أين الفيلم السلبى ؟

قال (طاهر) فى توتر :

ــ فى قسم التصوير .

ابتسم الرجل ابتسامة أشبه بأفعى تبرز أنيابها ، استعدادًا لبث سمها فى جسد ضحيتها ، وقال :

ــ حسنًا يا صديقى .. هذا كل ما كنت أحتاج إليه منك .

وتقدّم نحو (طاهر) ، الذى تراجع صائحًا فى رعب :

ــ ماذا تريد منى ؟.. ماذا ؟

وفجأة انقضّ عليه الرجل ، وأمسك جانبى وجهه بكفيه الغليظتين ، وأدار ذراعيه فى عنف ، وسمع فرقعة مخيفة من عنق (طاهر) المسكين ، الذى جحظت عيناه ، ثم سقط .. سقط جثة هامدة ..

* * *

٤ ــ الدم ..

أوقف (عصام) سيارته ، فى موقف السيارات الخاص بالجريدة ، على نحو حاد عنيف ، أثار دهشة عم (أمين) ، الذى أسرع إليه هاتفًا :

ــ أستاذ (عصام) ؟!.. لِمَ عدت ياولدى ؟!.. لقد تصوَّرت أنك ستخلد للنوم بعد أن ..

قاطعه (عصام) ، وهو يندفع من سيارته إلى مبنى الجريدة :

ــ فيما بعد ياعم (أمين) .. فيما بعد .

تطلَّع إليه عم (أمين) فى دهشة ، ثم أدار عينيه إلى السيارة ، وهزَّ كتفيه ، مغمغمًا فى إشفاق :

ــ إنه حتى لم يُغلق سيارته .

ثم تنهَّد ، وأغلق باب السيارة ، متمتمًا :

ــ مساكين هؤلاء الصحفيون .

فى نفس اللحظة ، كان (عصام) يندفع نحو مصعد الجريدة ، هاتفًا :

ــ أين المصعد ؟

أجابه أحد زملائه فى ضجر :

ــ إننا ننتظره منذ عشر دقائق .. يقولون إنه معطَّل فى الطابق الخامس .

هتف (عصام) فى توتر :

ــ الخامس ؟!.. فى قسم التصوير ؟!

تطلَّع إليه زميله فى دهشة ، وقال :

ــ وماذا فى ذلك ؟

هتف (عصام) فى عصبية :

ــ ألا تعلم أن هذا قد يعنى وقوع جريمة ؟

حدَّق الرجل فى وجهه ، مغمغمًا فى حيرة وذعر :

ــ جريمة ؟!..

قطع حديثهما صوت زميل ثالث ، وهو يقول فى حنق :

ــ ها هوذا المصعد اللعين يهبط أخيرًا .

ودون أن يدرك لذلك سببًا واضحًا ، راح (عصام) يحدِّق فى أرقام المصعد المضيئة فى توتر ، وهو ينقل بصره بينها وبين باب المصعد ، حتى أشارت الأرقام المضيئة إلى أن المصعد قد هبط أخيرًا فى الدور الأرضى ، وسمع أحد رفاقه يقول متوترًا :

— لو تأخر لحظة واحدة ، كنت سأ .....

بتر زميله عبارته ، وشهقت زميلة ثانية ، وأطلقت ثالثة صرخة رعب ، عندما انفتح باب المصعد ، ووقعت أبصار الجميع على تلك الكومة فى أرضيته ..

لقد كانت جثة هامدة ..

جثة (طاهر) ..

* * *

انهمك (فريد) ، مصوّر الجريدة الأوّل ، فى تحميض بعض الأفلام السلبية ، داخل تلك الحجرة الخاصة ، المزوّدة بمصباح أخضر خافت الإضاءة(*) ، وكانت تلك الأفلام شديدة الأهمية ، تخص مقال رئيس التحرير ، عن زيارة رئيس الجمهورية الأخيرة ، لعدد من الدول الأوربية الصديقة ..

وفجأة فتح أحدهم باب الحجرة ..

(*) تتأثر كروت التصوير الضوئى بكل الأضواء ، فيما عدا الضوء الأحمر ، لذا يتم تحميضها وإظهارها فى وجوده ، أما الأفلام السلبية ، فتتأثر بالضوء الأحمر ، والضوء الوحيد الصالح لعدم إتلافها ، هو الضوء الأخضر فقط ، وهذا بالنسبة للأفلام السلبية ، ذات اللونين الأبيض والأسود فقط ، وليس بالنسبة للأفلام الملوّنة .

وانتفض جسد (فريد) فى ذعر ، وأسرع يختطف الأفلام ، ويُلقى بها فى حوض الأحماض المظهرة ، وهو يهتف فى غضب :

— من ذلك الأحمق اللعين ، الذى جرؤ على...؟

قاطعه صوت الباب ، وهو يُغلق فى عنف ، مختلطًا بصوت قاس ، يقول فى غلظة وصرامة :

— إنه أنا .

عقد (فريد) حاجبيه ، وحاول اختراق الظلمة بعينيه ، وهو يتطلّع إلى ذلك الرجل الضخم ، الذى بدا أشبه بشبح مخيف ، فى ذلك الضوء الأخضر الخافت ، وتلاشى غضبه بغتة ، لتحل محله رجفة خوف وتوتر ، وهو يتمتم :

— من أنت ؟

أجابه صاحب الصوت ، وهو يقترب منه :

— أنا العقيد (سرور) ، من المباحث الجنائية .. لقد أرسلونى لأحصل منك على الفيلم السلبى ، الخاص بالصحفى (عصام كامل) ، والذى التقطه أمس .

توترت أعصاب (فريد) فى شدة ، وهو يغمغم :

— الفيلم السلبى ؟!.. ولكن لماذا ؟.. لم يحدث أبدًا أن طلب منا رجال الشرطة الأفلام السلبية .. إنهم يكتفون بالصور الفوتوجرافية فحسب .

أجابه الرجل فى غلظة :

ــ فى هذه المرة الأمر يختلف .

عقد (فريد) حاجبيه ، وهو يقول فى توتر :

ــ ولماذا فى هذه المرّة بالذات ؟

التقط الرجل مسدسه من جيبه فى سرعة ، وصوّبه إلى (فريد) ، قائلا فى شراسة :

ــ أيكفى هذا السبب ؟

تراجع (فريد) ، وهو يهتف فى جزع :

ــ رباه !.. إذن فأنت مجرم .

قفزت يده نحو سكين قريب ، ولكن الرجل اندفع نحوه فى رشاقة ، على الرغم من ضخامة جسده ، وأمسك معصمه ، وأدار يده خلف ظهره ، ولوى ذراعه فى عنف ، فصاح (فريد) فى ألم :

ــ أيها الحقير .

وفى حركة دفاعيه ، التقط حوض تحميض الأفلام السلبية ، وقذف محتوياته خلف ظهره ، فى وجه الرجل ، الذى صرخ فى ألم ، وهتف غاضبًا :

ــ اللعنة !

وفى حركة دفاعية ، التقط حوض تحميض الأفلام السلبية ، وقذف محتوياته خلف ظهره ، فى وجه الرجل الذى صرخ فى ألم ..

ثم دفع (فريد) إلى الأمام فى عنف ، واندفع نحو حوض المياه ، وراح يغسل وجهه بالماء فى سرعة ، فقفز (فريد) نحو الباب ، صارخًا :

ــ النجدة !! النجدة !!

ولكن الرجل استدار إليه فى حركة حادة ، وجذبه من عنقه ، قائلًا فى غضب وصرامة :

ــ لن تفلت .

حاول (فريد) أن يصرخ مرّة أخرى ، ولكن الرجل أغلق فمه بكفه فى عنف ، ودفعه إلى الأمام فى قوة ، وهو يستطرد ، وقد استحال إلى وحش كاسر :

ــ أين الفيلم السلبى ؟.. أين ؟

أشار (فريد) فى رعب وألم إلى عدد من الأفلام السلبية ، تتدلّى من حبل رفيع ، وحاول أن ينطق بشىء ما ، ولكن كف الرجل حجبت صوته ، وانتفض قلبه فى رعب ، عندما دفع الرجل وجهه إلى الأمام ، نحو حوض أحماض الإظهار ..

وقاوم (فريد) ..

قاوم فى شراسة ..

ولكن الرجل كان أقوى ..

أقوى كثيرًا ..

ودفع الرجل وجه (فريد) داخل الحوض ..

وراح يدفعه .. ويدفعه ..

و (فريد) يقاوم .. ويقاوم ..

ثم تراخت مقاومة (فريد) ..

وتهالكت ..

وانتهت ..

لقد فاضت روح المسكين ..

فاضت فى نفس المكان ، الذى وهبت إليه نفسها .. فى معمل التصوير ..

* * *

حدّق الجميع فى جثة (طاهر) فى ذُهول ورُعب ..

(عصام) وحده تطلّع إليها فى غضب ..

كان يشعر بمرارة شديدة ؛ لأن هذا قد حدث ..

وكان يعتبر نفسه المسئول الأوّل عنه ..

ــ وفجأة .. انتزع نفسه من كل حنقه وغضبه وتوتّره ، واندفع نحو السلم ، وراح يقفز فوق درجاته فى انفعال ، وانطلق نحو حجرة التصوير ..

كان يشعر برغبة عارمة فى تحطيم كل من يعترض طريقه ..

وبغضب هائل يجتاح نفسه ..

من الواضح أن استنتاج (عماد) و (غلا) صحيح ..

إنه يواجه قاتلًا مسعورًا ، يبذل أقصى جهده ، ويُبرز كل أنيابه ومخالبه ، لاستعادة بعض الصور ، التى تفضح أمره ..

وهو لن يسمح له بذلك ..

لن يسمح أبدًا ..

وبكل ما يملك من قوة ، صرخ :

ـ اللعنة !!

وفجأة ، ارتطم بهدفه ..

ارتطم بالقاتل ..

لقد أدرك على الفور أنه هو ..

أدرك ذلك من المنديل الأسود ، الذى يخفى به الرجل وجهه ، ومن ذلك المسدس ، الذى يمسكه فى قبضته ، ومن تلك الشراسة الوحشية ، المطلّة من عينيه ..

وتراجع (عصام) ، وهو يهتف فى غضب :

ـ إذن فهو أنت .

أتاه صوت الرجل ساخرًا ، صارمًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. هو أنا .

ثم رفع فُوَّهة مسدسه نحو صدر (عصام) ، و .....

وأطلق النار ..

* * *

٥ ـــ الصراع ..

انحنى (عصام) بأقصى سرعة سمحت بها استجابته ، ومرونته العضلية ..

وكان من الواضح أنه يواجه محترفا ، لا يخطئ إصابة هدفه من تلك المسافة ، ولا تحت تلك الظروف ..

ولكن (عصام) تفادى الرصاصة ..

من العجيب أنه قد فعل ..

بل من الأعجب أنه لم يكتف بذلك ، ولكنه انحنى ، ومال ، ووثب ، ووجد نفسه يركل المسدس من قبضة الرجل فى مهارة ، ثم يهبط واقفًا على قدميه ، ويصرخ :

ـــ لن تفلت أيها المجرم .

قالها وهو يهوى بقبضته على فك الرجل ، ولكن هذا الأخير تفادى اللكمة فى براعة ، ومال بدوره جانبًا ، وهو يقول فى سُخرية :

ـــ أهذا ما تراه ؟

وبأسلوب محترف ، أمسك معصم (عصام) بقبضته اليمنى ، ثم هوَى على معدته بلكمة هائلة ، من قبضته اليسرى ، وأدار ذراعه بحركة رشيقة مرنة ، جعلت جسد (عصام) يرتفع ، ويهوِى على ظهره فى قوة ..

وتأوَّه (عصـــام) فى ألم ، ونهض فى صعوبة ، ولكن ركلة من قدم القاتل أعادته إلى الأرض ، وهو يسمع صوته الساخر يقول :

ـــ ليس الآن يا صديقى .. ليس الآن .

قاوم (عصام) آلامه فى بسالة ، وقفز واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ من قال لك إنك ستفلت ، على الرغم من كل هذا ؟

أطلق الرجل ضحكة ساخرة ، وهو يهتف :

ـــ هذا .

ثم قفز جسده فى الهواء ، ودار حول نفسه ، ودفع قدمه فى صدر (عصام) كالقنبلة ، فتراجع جسد (عصام) فى عنف ، وارتطم بالزجاج خلفه ، و .....

وهوَى ..

هوى محطما الزجاج ..

هوى من ارتفاع ستة طوابق ..

* * *

لكن العقيد (خيرى) سائق سيارة الشرطة ، وهو يقول فى توتر ظاهر وعصبية بالغة :

ــ أسرع يا رجل .. إنك تقود بسرعة سخيفة ، حتى أنه يخيّل إلىّ أن أية سلحفاة يمكنها أن تسبقنا .

عقد السائق حاجبيه ، وهو يقول :

ــ إنها ساعة الذروة ، بالنسبة للمرور فى شارع (الجلاء) يا سيّدى ، وعلى أية حال ، سنبلغ مقر الجريدة فورًا .

ثم رفع سبّابته ، مشيرًا إلى المبنى الضخم ، مستطردًا :

ــ ها هو ذا ، و ......

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذُعر ، وهو يهتف :

ــ ربّاه .. يا إله السموات !!

رفع العقيد (خيرى) عينيه بدوره ، وهو يهتف :

ــ ماذا هناك ؟

ثم لم تلبث عيناه أن اتسعتا بدوره ، وهو يستطرد :

ــ يا إلهى !!.. إنه (عصام) .

صرخ السائق :

ــ إنه يسقط من الطابق السادس .. إنه ....

لم يتم الرجل عبارته ..

ولم يعلم أى مخلوق ما الذى كان ينوى قوله ..

هو نفسه نسى ذلك ..

لقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وبدتا جاحظتين ، حتى لقد خُيّل لكل من رآهما أنهما ستقفزان من محجريهما ..

ولا عجب فى ذلك ..

لقد رأى الرجل معجزة ..

أو هو عمل أقرب إلى المعجزة ..

لقد رأى (عصام) يهوى من حالق ، وهو يلوّح بذراعيه فى رعب ويأس ، ثم فجأة ، يتعلّق حزامه بقائم رفيع بارز ، فى الطابق الرابع ..

كانت معجزة بحق ..

معجزة إلهية ..

أو أنه عمر (عصام) ، الذى لم ينته بعد ..

وأجله .. الذى لم يحن بعد ..

كل من رأى ذلك الحدث أصيب بالذهول ..

ثم انكسر القائم المعدنى :
وعادت لحظات الرعب والسقوط تكرَّر مرة أخرى .. وعاد يهوى ..

حتى (عصام) نفسه ، لم يصدّق للحظات أنه قد نجا ..
لقد شعر بألم رهيب فى معدته ، عندما تعلّق حزامه بذلك القائم المعدنى الرفيع ، ثم لم تلبث آلامه أن تلاشت ، إلى جانب دهشته ..
لقد نجا ..
لقد أفلت من قبضة ملك الموت ..
وفجأة بدا له هذا الشعور سابقًا لأوانه ، عندما لاحظ أن القائم المعدنى القصير يميل فى عنف ، مع صوت فرقعة مخيفة ..
ثم انكسر القائم المعدنى ..
وعادت لحظات الرعب والسقوط تكرَّر مرة أخرى ..
وعاد يهوى ..

* * *

لم يستغرق السقوط فى هذه المرة سوى لحظة واحدة ..
هذا لأن (عصام) قد تحرَّك هذه المرة ..
كان يعلم أن ملك الموت لن يمنحه الفرصة مرتين ، وعليه أن يسعى هو بنفسه ، لنيل الفرصة الثانية ..

ومع صوت الفرقعة ، دفع (عصام) جسده إلى الأمام ..

كانت لحظة واحدة ..

وكان الزجاج سميكًا قويًا ..

ولكن إرادة (عصام) كانت أكثر قوة ..

ولقد ربحت هذه الخطوة ..

اخترق جسده الزجاج السميك ، وحطمه ، ووجد نفسه داخل المبنى ، وسط كومة هائلة من الزجاج المهشم ..

ورأى عشرات من زملائه ، ومن رجال الأمن يندفعون نحوه ..

ورأى وجهًا مهتزًا مخيفًا ..

ثم لم يعد يرى شيئًا ..

لقد فقد الوعى ..

* * *

كانت المفاجأة الأعظم من نصيب القاتل نفسه ..

لم يتصوَّر أبدًا أن ينجو (عصام) من هذا الموت المحتم ..

لم يتصوَّر أن يراه حيًا يُرزق أمام عينيه ..

ولكن الظروف لم تعد تسمح له بالحركة ..

لقد اكتظَّ المكان برجال الأمن والصحفيين ..

ولكن من حُسْن حظه أن (عصام) لم ير وجهه ، وربما لم يعلم بعد ما يسعى إليه ؛ لذا فهو يستطيع تأجيل الأمر لما بعد ، خاصة بعد أن فقد (عصام) وعيه ..

وبسرعة محترف ، راح يهبط فى درجات السلم ، ويبتعد عن المكان بقدر الإمكان ، قبل أن تصبح مغادرته صعبة أو مستحيلة ..

وعندما عبر باب المبنى الزجاجى إلى الخارج ، كان صوت العقيد (خيرى) يتعالى فى حزم وصرامة :

— أغلقوا الأبواب . لا تسمحوا لأى مخلوق بالخروج .

ابتسم القاتل فى سخرية ، وهو يبتعد عن المبنى ، ويربِّت على مجموعة الأفلام السلبية ، التى تملأ جيبه ..

وتوقَّف لحظة عند موقف السيارات الخاص بالجريدة ، وغمغم فى صوت لم يسمعه سواه :

— هيا .. هذا يخالف التعليمات .. لا تبتعد .. لقد علموك ألا تترك أى شىء للظروف .. من يدرى؟.. ربما كان هذا الصحفى قد توصَّل إلى شىء ما .. من يدرى؟

أدار فى المكان عينى ذئب ، ثم اتجه نحو عم (أمين) ، وسأله فى هدوء :

ـ أين سيارة الأستاذ (عصام) ؟

تطلّع إليه عم (أمين) فى حيرة ، وهو يقول :

ـ (عصام) من ؟

أجابه فى هدوء :

ـ (عصام كامل) .. صحفى قسم الحوادث .

أشار عم (أمين) إلى سيارة (عصام) ، وهو يقول :

ـ ها هى ذى .

ثم استطرد فى شك وحذر :

ـ ولكن لماذا تسأل ؟.. ما الذى تريده منها ؟

تألّقت عينا القاتل ببريق شرس ، وافتر ثغره عن ابتسامة صفراء ، وهو يقول :

ـ لقد طلب إصلاحها ، قبل أن يهوى .

هبّ عم (أمين) من مقعده ، صائحًا :

ـ يهوى ؟!.. أهو ذلك الذى سقط ؟

قال القاتل فى دهشة مصطنعة :

ـ عجبًا !! .. ألم تكن تعلم ؟

هتف عم (أمين) :

ـ يا إلهى !!

ثم اندفع داخل مبنى الجريدة ، فى حين ابتسم القاتل ، وهو يتجه نحو سيارة (عصام) ، مغمغمًا فى سخرية :

ـ أسرع يا رجل .. أسرع لتراه ، فقد نجا هذه المرة ، ولكن هذا الاستثناء لن يصبح قاعدة أبدًا .

وفى أعماقه انطلقت ضحكة ساخرة ..

ضحكة ذئب متوحش ..

* * *

٦ — المفاجأة ..

فجوة هائلة ..

ظلام دامس ..

دوار رهيب ..

فى كل هذا سقط (عصام) ..

وراح يسقط ، ويسقط ، ويسقط ..

ثم بدأت سرعة السقوط تنخفض ..

وتلاشى الظلام فى بطء ..

وانكمشت الفجوة ..

وبرزت بقعة من الضوء ، وراحت تكبر ، وتكبر ، حتى أصبحت هى السائدة ، وأصبح الظلام مجرد نقطة صغيرة ..

وهنا انتهى كل شىء ..

استيقظ عقل (عصام) بغتة ، وعاد إلى دنيا الواقع ..

وكان أول ما فعله هو أن تأوه ، وغمغم فى ألم وإعياء :

— آه .. أين أنا ؟

أجابه صوت العقيد (خيرى) فى إشفاق :

— اطمئن يا (عصام) .. ما زال عالم الأحياء يتشبث بك .

بذل جهدًا رهيبًا لينتزع نفسه من غيبوبته ، وفتح عينيه فى صعوبة ، وراح يتطلع إلى وجه العقيد (خيرى) ، متمتمًا :

— عجبًا !!.. كنت أظن أننى وهو متعارضان .

تنهد (خيرى) ، وقال :

— ليس أنت وهو يا (عصام) .. لقد فقدنا ثلاثة من أفضل شبابنا ، من عالم الأحياء هذا .

هب (عصام) جالسًا ، وهو يقول فى جزع :

— ثلاثة ؟!.. من الثالث ؟

أجابه (خيرى) فى مرارة :

— (فريد) .. مصور الجريدة .

اتسعت عينا (عصام) فى ذعر ، وهو يهتف :

— (فريد) ؟!

واغرورقت عيناه بدموع الحزن والمرارة ، وهو يستطرد :

— اللعنة !

لوح (خيرى) بذراعيه ، قائلًا فى حدة :

— أسخف ما فى الأمر ، هو أننا لا نعلم سبب كل هذا .

قال (عصام) فى مرارة :

ــ أنا أعلم .

حدّق (خيرى) فى وجهه فى ذهول ، وهو يهتف :

ــ تعلم ؟!

أجابه (عصام) فى حزم :

ــ نعم .. أعلم .

وبكل الاندفاع فى أعماقه ، راح يشرح له استنتاج (عماد) و (غلا) فى هذا الشأن ، وما أعقبه من تأكيدات ، حتى هتف العقيد (خيرى) :

ــ يا إلهى !.. هذا الاستنتاج لم يخطر ببالنا قط !. إذن فهى الصور التى التقطتها أنت !.. يا إلهى !!..

وضرب قبضته اليسرى فى راحته اليمنى ، مستطردًا فى انفعال :

ــ هذا قتل (طاهر) و (فريد) .. وهذا أخذ كل الأفلام السلبية معه .

قال (عصام) فى مرارة :

ــ هذا يعنى أننا قد فقدنا أثره إلى الأبد .

أتاه صوت حازم ، من باب حجرته بالمستشفى يقول :

ــ ليس بعد .

التفت (عصام) و (خيرى) إلى مصدر الصوت ، وهتف (عصام) :

ــ يا إلهى !!.. أنت ؟!

تقدّم العقيد (عادل محمود) إلى الحجرة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ــ نعم يا (عصام) .. هو أنا .

ثم غمز بعينه ، وهو يضيف :

ــ هذا يقلب كل الأمور .. أليس كذلك ؟!

* * *

دفع القاتل باب ذلك المنزل الأنيق الفاخر ، الذى يقيم فيه ، فى وسط (القاهرة) ، وتحسّس مسدسه فى حذر وتحفز ، وهو يتلفّت حوله ، ثم لم يلبث أن اطمأن إلى أنه وحده ، فأغلق الباب فى هدوء ، واتجه إلى مكتبة أنيقة ، تضمّ جهاز تليفزيون ، وجهاز تسجيل صوتى ، والتقط من بين الكتب العديدة فيها كتابًا عادى المظهر ، أزاح كعبه فى رفق ، والتقط من أسفله جهازًا دقيقًا ، أشبه بالآلات الحاسبة الشخصية ، حمله إلى منضدة قريبة ، وأشعل سيجارته ، وراح ينفث دخانها فى الهواء بضع لحظات ،

ثم أخرج الأفلام السلبية من جيبه ، وراح يراجعها فى اهتمام ، حتى توقف عند أحدها ، راح يوليه اهتمامًا كبيرًا ، حتى تألقت عيناه ، وغمغم فى ارتياح :

ــ ها هوذا .

ثم أخرج قدّاحته ، وأشعل النار فى الفيلم ، وألقاه فى منفضة السجائر ، وراح يراقب النار وهى تلتهمه ، حتى أتت عليه ، فابتسم متمتمًا :

ــ هكذا انعدم الدليل تمامًا .

وأطلق من أعماق صدره زفرة ارتياح ، ثم التقط ذلك الجهاز الشبيه بالآلات الحاسبة ، وهو يستطرد :

ــ يمكننى الآن أن أطمئن الرؤساء .

وفى مهارة وسرعة ، راحت أصابعه تضغط الأزرار فى تتابع مدروس ..

* * *

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو ينقل بصره بين (عادل) و (عصام) ، حتى قال (عصام) فى توتر واضح :

ــ أقدّم لك زميلك ، العقيد (عادل محمود) ، يا سيادة العقيد (خيرى) ..

ــ إنه رئيس قسم مكافحة التجسّس ، بمباحث أمن الدولة .

تمتم (خيرى) فى توتر مماثل :

ــ أنا أعرفه .

ابتسم (عادل) ، وقال :

ــ أنا أيضًا أعرفك يا سيادة العقيد (خيرى) .. وأعرف ولديك العبقريين (عماد) و (عُلا) .

قال (خيرى) فى عصبية :

ــ أظن ظهورك على الشاشة يعنى أنه من الضرورى أن يبتعدا هما عن الأمر .. أليس كذلك ؟

بدت ابتسامة (عادل) هادئة ، حازمة ، وهو يقول :

ــ بالضبط .

ثم أضاف بعد وهلة من الصمت :

ــ ولقد تحدّثت إليهما ، واستوعبا الأمر فى سرعة .

هتف (عصام) و (خيرى) فى آن واحد :

ــ تحدّثت إليهما ؟!

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا فى هدوء ، وقال :

ــ بالتأكيد .. إنهما صبيان رائعان ، يفوق عقلاهما عقول

العديد من الناضجين ، ولقد شرحت لهما الأمر بكل وضوح وصراحة ، وأفهمتهما أن تدخلهما قد يضر بالأمر هذه المرة ، ليس لعدم قدرتهما على حل غموض اللغز ، أو لقصورهما عن فهمه ، وإنما لقلة خبرتهما فى أصول تلك اللعبة ، التى نحترفها نحن ، ونمتهنها .

ظلّ (خيرى) و (عصام) يحدقان فيه فى ذهول ، وهو يتابع :

ـــ ولقد أبديا تفهمًا ناضجًا ، ووعدا بعدم التدخل فى الأمر ، حتى لو طلب منهما صديقهما (عصام) بنفسه هذا .

هتف (عصام) :

ـــ لست أفهم !!.. ما هذه اللعبة التى تقصدها ؟

رمقه (عادل) بنظرة جانبية ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !!.. ألم تفهم بعد ؟. كنت أقصد تلك اللعبة التقليدية .. لعبة الجاسوسية .

هتف (عصام) فى ذهول :

ـــ أتعنى أن هذا القاتل...؟

قاطعه (عادل) :

ـــ نعم يا عزيزى (عصام) .. هذا ما أعنيه بالضبط .. هذا القاتل ليس مجرّد تاجر أو مهرّب مخدرات .. إنه جاسوس .. جاسوس محترف ..

* * *

٧ ـــ الثعلب ..

امتزجت رائحة التبغ والدخان ، بروائح تلك الخمور الباهظة الثمن ، التى يرتشفها القاتل الجاسوس بين الحين والآخر ، وهو يستقبل تلك الإشارات المنتظمة ، التى يلتقطها جهازه الصغير ، ويدوّن رموزها فوق ورقة كبيرة ، حتى ساد الصمت فى حجرته ، فاهتمّ أوّلًا بحمل الجهاز الصغير فى حرص ، وإعادته إلى كعب الكتاب العادى المظهر ، وإعادة الكتاب نفسه إلى مكتبته الأنيقة ، ثم عاد إلى المنضدة ، وراح يقرأ تلك الأرقام ، التى دوّنها أمامه فى حرص ، ثم لم يلبث أن التقط علبة سجائره الجلدية ، ودفع قاعدتها فى رفق ، والتقط من تجويف سرى دقيق بها ورقة مطوية فى عناية فائقة ، فردها أمامه ، وراح يراجع الأرقام على الحروف المدوّنة بها ، حتى انتهى ، وبدت أمامه عبارة عبرية واضحة ، تقول ترجمتها :

ـــ لا أمان بعد .. ابحث عن تجارب إظهار .. ننتظر الجواب .. انتهى .

عقد حاجبيه فى ضيق ، وهو يغمغم :

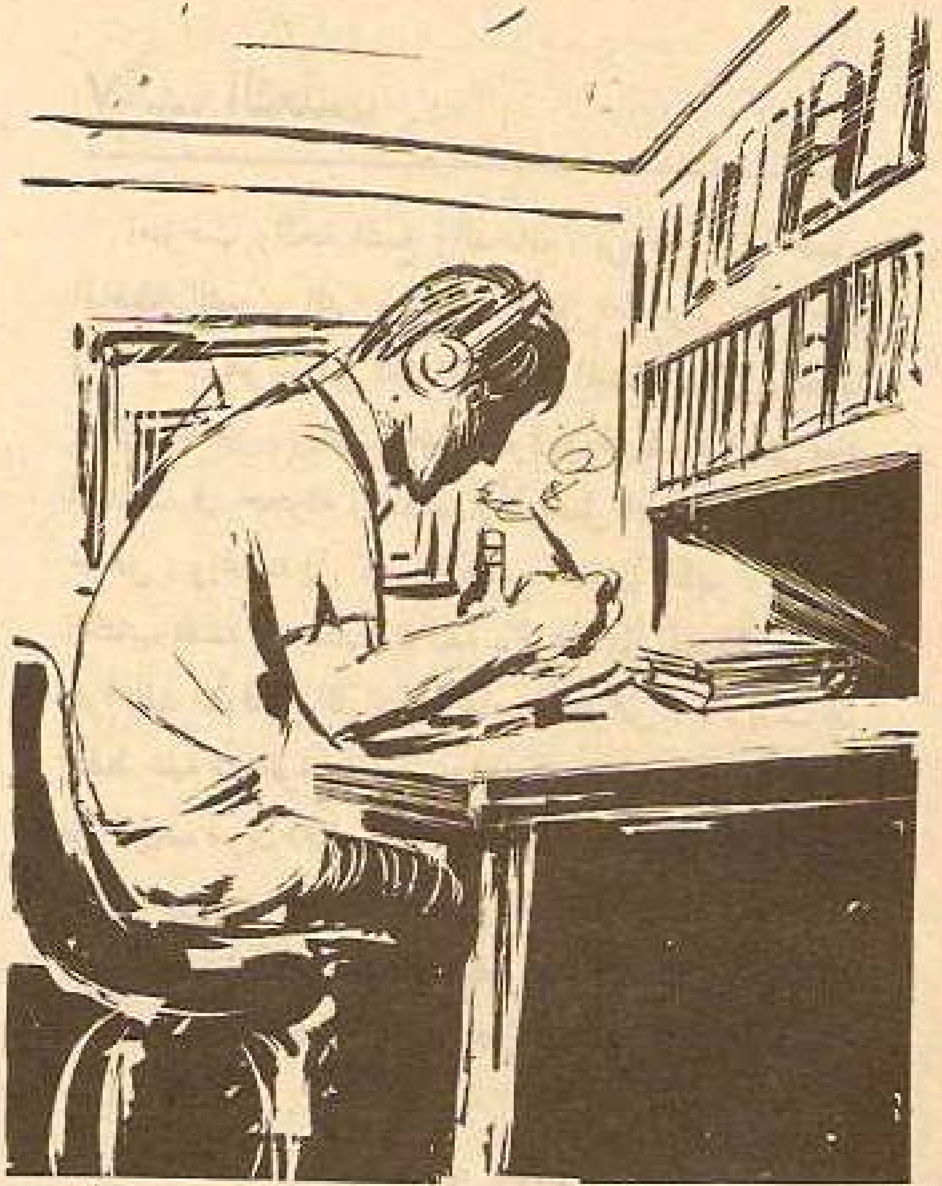

وراح يراجع الأرقام على الحروف المدوَّنة بها ، حتى انتهى ، وبدت أمامه عبارة عبرية واضحة ..

ــ تجارب إظهار ؟!..

ثم نهض من مقعده ، وأطفأ سيجارته فى حدة ، وهو يستطرد :

ــ كيف فاتنى أن أتوقَّع هذا ؟.. إنه إجراء تقليدى ، بالنسبة لمعظم مصوِّرى الصحف .. أن يُجرى عدة تجارب لإظهار الصور ، قبل أن يستقر رأيه على شكل نهائى ، وقد تحوى إحدى تلك التجارب صورتى .

زفر فى غضب ، ثم أشعل سيجارة أخرى ، مردفًا :

ــ هذا يعنى أن المهمة لم تنته بعد .

وانتزع مسدسه من غمده ، وجذب مشطه فى قوة ، هاتفًا :

ــ وأن اللعبة مستمرة .

* * *

تراجع العقيد (خيرى) فى دهشة ، عندما سمع عبارة (عادل محمود) الأخيرة ، فى حين عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم فى توتر :

ــ جاسوسية ؟!

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إنها الحقيقة للأسف .. هل تذكر تلك القضية ، التى

شاركنا فيها من قبل ، والخاصة باقتحام الجاسوسية مجال تجارة المخدرات ، كوسيلة لتحطيم شبابنا وجبهتنا الداخلية ؟(*).

أجابه (عصام) فى انفعال :

ــ إننى أذكرها بالطبع .

قال (عادل) :

ــ هذه القضية تعدّ امتدادًا لها .

وصمت لحظة ، ثم التفت إلى العقيد (خيرى) ، قائلًا :

ــ معذرة أيها الزميل .. أعلم أنه من نقص اللياقة أن أطالبك بالانصراف ، ولكننا نعمل جميعًا لمصلحة هذا الوطن ، ولقد وجد المسئولون أن وجود (عصام) فى هذه القضية حتمى ، ولكن السرية مطلوبة أيضًا ، ويؤسفنى أن .....

قاطعه العقيد (خيرى) فى صوت أجش عصبى ، ووجه محتقن :

ــ إننى أدرك ذلك .

ثم التفت إلى (عصام) يصافحه ، قائلًا :

ــ كنت أتعشم البقاء لوقت أطول ، ولكنك تدرك تلك التعقيدات ، فيما يختص بعمل هذا الرجل .

(*) راجع قصة (جزيرة الأشرار) .. القضية رقم (٤١) .

تمم (عصام) :

ــ إننى أقدّر ذلك .

ابتسم (خيرى) ابتسامة باهتة ، وربّت على كتفه ، قائلًا :

ــ حسنًا .. إلى اللقاء فيما بعد .

واتجه نحو الباب ، دون أن يلقى التحية على (عادل) ، الذى اكتفى بابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ــ إلى اللقاء يا سيادة المقدّم .. أعدك بأن تكون أوّل من يعلم ، عندما ينتهى هذا الأمر .

التفت إليه (خيرى) بابتسامة غامضة ، وقال :

ــ بل أعدك أنا بذلك .

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى غضب ، ولكن (خيرى) أطلق العنان لابتسامته ، حتى كادت تلتهم وجهه كله ، وهو يغادر المكان فى برود ، فالتفت (عادل) إلى (عصام) ، يسأله فى حدة :

ــ ما الذى يعنيه بهذا ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ لا عليك .

ثم عاد يسأله فى اهتمام :

— قل لى ، ما الذى تقصده بأن هذه القضية تعدّ امتدادًا لقضية (جزيرة الأشرار) ؟

جلس (عادل) على طرف فراشه ، وهو يقول :

— هذا المعنى رمزى تمامًا ، فلا توجد صلة مباشرة ، بين هذه وتلك ، ولكن كلتيهما تتعلقان بأمر واحد ، ألا وهو رغبة كل الأجهزة المعادية ، فى نشر السموم فى مجتمعنا ، وإصرار جهاز مخابرات شرق بالذات ، على أن يتعاون مع مروّجى المخدرات فى (مصر) ، بل على تمويلهم على نحو سخيف .

صمت لحظة ، ثم تنهّد مستطردًا :

— إنهم يعلمون ويدركون خطورة المخدرات على الشباب ، وقتلها لكل حيويتهم ونشاطهم ، وهذا ما يريدونه لشبابنا .

زفر مرة أخرى ، ثم أضاف :

— لهذا أرسلوا واحدًا من أقوى جواسيسهم ، ليعيد بناء تلك الشبكة ، التى دمّرناها فى تلك القضية السابقة .

غمغم (عصام) ، وهو يولى الحديث اهتمامًا بالغًا :

— أقوى جواسيسهم ؟!

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

— نعم .. لقد أرسلوا (مارك ليفى) .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

— من ؟!

ابتسم (عادل) ابتسامة خاوية ، وهو يقول :

— (مارك ليفى) .. إنه مصرى المولد .. لم يهاجر إلى موطنه الجديد إلا مع حرب العدوان الثلاثى ، وهو يجيد التحدّث بالعربية ، وباللهجة المصرية ، بحكم مولده ، وعمله فى مخابراتهم ، وهو — بالإضافة إلى ذلك — يعدّ جاسوسًا نادرًا ، فهو يجيد التنكر ، واستخدام الأسلحة المختلفة ، وفنون المراوغة ، ثم ..

صمت لحظة ، ثم أضاف فى ضيق :

— ثم إننا نجهل صورته الحقيقية .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى دهشة :

— كيف ؟.. ألم يكن يعيش هنا ؟.. ألم يهاجر ؟.. لا ريب أنه توجد له أوراق هنا ، و .....

قاطعه (عادل) فى ضيق واضح :

— لم تعد هناك أية أوراق .

تطلّع إليه (عصام) فى دهشة ، وهو يقول :

— ماذا تعنى ؟

قال (عادل) فى حنق :

ـ ألم أقل لك إنه شديد البراعة ؟

وزفر فى سخط ، قبل أن يضيف :

ـ لقد اختفت أوراق طلب الهجرة ، التى قدّمها عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ، بوسيلة ما ، ولقد أجرينا تحقيقًا واسعًا فى هذا الشأن ، عجز عن إيجاد المسئول ، كما احترق السجل المدنى ، الذى استخرج منه بطاقة هويته ، وضاعت الأوراق فى الحريق .. بل إننا لم نعثر على صورة واحدة له ، فى مدرسته الابتدائية ، أو الإعدادية ، أو حتى الثانوية .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـ ولا حتى صورة مع صديق أو قريب .

هزّ (عادل) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ من العسير الحصول على مثل هذه الأشياء .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ـ الأمل الوحيد فى معرفته ، يكمن فى تلك الصور .

عقد (عصام) حاجبيه فى سخط ، وهو يقول :

ـ التى فُقِدَتْ .. اللعنة !

اعتدل (عادل) ، ومطّ شفتيه ، وهو يقول :

ـ لقد حاولنا استجواب مهربى المخدرات ، ولقد أقروا جميعًا بوجود رجل مجهول ، هو الذى يدير العملية كلها ، وأكّدوا جميعًا أنه قد نجح فى الفرار ، وسط معمعة القبض عليهم ، ولكنهم ـ للأسف ـ لا يعرفون كيف يبدو ، فلم يره أبدًا سوى زعيمهم ، وهذا الزعيم قد لقى مصرعه خلال معركة إلقاء القبض عليهم .

وبدا شديد الانفعال ، وهو يضيف :

ـ ومن الواضح والمؤكّد ، أنك قد التقطت صورة لذلك الجاسوس ، دون أن تدرى .. ولقد أدرك هو ذلك ، وأدرك أن هذه الصورة قد تكون حبل المشنقة ، الذى يلتف حول عنقه ؛ لذا فقد ثار كنمر شرس ، وراح يريق الدم فى طريقه بلا رحمة ، أملًا فى استعادة الصورة ، والتخلّص من كل من يُحتمل أنه قد رآه .

غمغم (عصام) فى ألم :

ـ ولقد حصل بالفعل على كل ما يسعى إليه .

صمت (عادل) لحظة ، ثم قال فى لهجة غامضة :

ـ إلى حد ما .

تطلّع إليه (عصام) فى حيرة ، وقال :

ــ ماذا تعنى ؟.. لقد حصل على الصور ، والأفلام السلبية !

ابتسم (عادل) ابتسامته الغامضة ، وقال :

ــ ولكنه لم يحصل على تجارب الإظهار .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ تجارب الإظهار ؟!.. أية تجارب إظهار ؟!

قال (عادل) فى هدوء :

ــ أليس من المعتاد أن يصنع أى مصوّر محترف تجربة أو تجربتى إظهار للصور ، قبل أن يبدأ فى طبعها بالفعل ، حتى يتيقّن من ضبط الإضاءة ، والثبات ، وما إلى ذلك ؟

قال (عصام) فى حيرة :

ــ ولكن (فريد) (رحمه الله) لم يكن يفعل هذا ، فقد كان محترفًا إلى حد كبير .

ابتسم (عادل) نفس الابتسامة الغامضة ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .. أنا أعلم ذلك ، وأنت تعلمه .. ولكن (مارك) يجهله .

غمغم (عصام) بمزيد من الحيرة :

ــ وبم يفيدنا ذلك ؟

اتسعت ابتسامة (عادل) ، وهو يقول :

ــ جهله هذا الأمر سيدفعه للبحث عن تجارب الإظهار ، بعد أن ينبّهه إليها رؤساؤه .

هتف (عصام) :

ــ ولِمَ لا يكون قد بحث عنها بالفعل ؟

هزّ (عادل) رأسه نفيًا ، وقال فى ثقة :

ــ إنه لم يفعل .

كان سيكتفى بتلك العبارة المقتضبة ، كطبيعة عمله ، إلا أنه شعر بضرورة منح (عصام) مزيدًا من التفسير ، فأضاف :

ــ لو أنه فعل ، لوجدنا علبة الكروت مبعثرة ، كما وجدنا الأفلام السلبية ، أو ما تبقى منها .

تمتم (عصام) :

ــ لقد فهمت .

ثم أضاف فى اهتمام :

ــ وبم يفيدنا بحثه عن التجارب ؟

تنهّد (عادل) ، وامتلأت ابتسامته بالثقة ، وهو يجيب :

ــ سيجعله هذا يسعى إلينا .. وهذا أروع مما نتصوّر .. أليس كذلك ؟

* * *

٨ ــ خطوات الموت ..

تطلّع موظف الأمن بالجريدة ، إلى تلك البطاقة الرسمية ، التى قدّمها إليه ذلك الرجل الضخم ، ذو الشارب الكث ، وهو يقول فى لهجة صارمة غليظة :

ــ العقيد (ممدوح لمعى) .. من المباحث العامة .

قارن رجل الأمن فى سرعة ، بين ملامح الرجل ، وصورته فى تلك البطاقة البلاستيكية الملوّنة ، وغمغم فى احترام :

ــ فى خدمتك يا سيادة العقيد .

ابتسم العقيد ابتسامة غريبة ، بعثت فى نفس رجل الأمن شعورًا عجز عن تفسيره ، وهو يقول :

ــ اسمع يا رجل .. كل ما سأخبرك به الآن هو أمر بالغ السرية ، وسأعتبرك مسئولًا ، لو عرف به أى شخص آخر ، ولو بطريق المصادفة .

ازدرد رجل الأمن لعابه فى صعوبة ، وقال فى توتر :

ــ أنا رهن إشارتك يا سيّدى .

مال العقيد نحوه ، قائلًا :

ــ اسمع .. أنا هنا للتحقيق فى أمر حادثى القتل ، على نحو بالغ السرية ، وأريد أن ألقى نظرة على حجرة التصوير ، وبعض محتوياتها ، دون أن يشعر أحد بذلك .. هل تفهم ؟

أجابه رجل الأمن فى صوت خافت ، يوحى بخطورة الأمر :

ــ بالطبع .

ثم أشار إليه ، مستطردًا :

ــ اتبعنى يا سيّدى .

دلف إلى المصعد فى سرعة ، وتبعه النقيب ، وحملهما المصعد إلى ذلك الطابق ، حيث حجرة التصوير ، وقال رجل الأمن :

ــ ها هى ذى حجرة التصوير يا سيادة العقيد .. أتحب أن أرافقك داخلها ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال فى لهجة آمرة حازمة :

ــ كلّا .. انتظر هنا فحسب ، ولا تسمح لأى مخلوق بالدخول .. هل تفهم ؟

أجابه رجل الأمن فى حماس :

ــ بالطبع يا سيّدى .

وأدى التحية العسكرية فى قوة ، كما لو كان جنديًا نظاميًا ، وترك العقيد يدلف إلى حجرة التصوير ، فى حين وقف هو أمامها كالطود ..

ولم يدرك المسكين ماذا فعل بالضبط !..
لقد تصوَّر أنه يؤدى خدمة جليلة لوطنه ..
ولكنه فعل العكس فى الواقع ..
إن ذاك الرجل ، الذى ينتحل صفة العقيد (ممدوح لمعى) ، لم يكن يحمل فى الحقيقة سوى الحرفين الأولين ، من اسم العقيد ..
لقد كان يحمل اسم (مارك) ..
(مارك ليفى) ..

* * *

ألقى (عصام) جسده ، فوق المقعد المجاور للعقيد (عادل محمود) ، فى سيارة هذا الأخير ، وهو يقول :
ــ أتظن أن ذلك الجاسوس سيقع فى الفخ ، ويحاول استعادة كروت تجارب الإظهار ؟
أدار (عادل) محرِّك سيارته ، وهو يقول :
ــ نعم .. سيفعل ذلك بنسبة تسعين فى المائة على الأقل .
سأله (عصام) فى دهشة ، والسيارة تنطلق بهما نحو الجريدة :
ــ كيف تمتلك كل هذه الثقة ؟

لوَّح (عادل) بكفه ، قائلًا :
ــ إنها مسألة خبرة .
ثم أضاف بعد وهلة من الصمت :
ــ صحيح أن هذا الفتى ينتمى إلى جهاز مخابرات ، وأن تلك الأجهزة تعتمد فى صميم عملها على السرية والمفاجأة ، إلا أنها مثل أية أجهزة أخرى ، تتبع عددًا من القواعد والأصول ، وفى حالتنا هذه ، تقتضى القواعد المحافظة على سرية الجاسوس ، مهما كان الثمن ، حيث إنه يفقد فاعليته تمامًا ، إذا ما كُشفتْ شخصيته ، وهذا يجعل للمخاطرة ما يبرِّرها ، وعندما يُبلغ ذلك الجاسوس رؤساءه ، بكل ما فعله لتأمين سريته ، سيبلغونه بدورهم أنه قد نسى الحصول والبحث عن تجارب إظهار ، وسيدفعونه إلى محاولة الحصول عليها ، مهما كان الثمن ، لضمان السرية التامة .
سأله (عصام) فى اهتمام :
ــ ألا يعلمون أنكم ستتوقعون مثل هذه الخطوة ؟
هزَّ (عادل) رأسه نفيًا ، وقال :
ــ سيكون هذا الاحتمال بالنسبة لهم ضئيلًا ، لا يتجاوز النصف فى المائة ؛ لأنهم يعتمدون على جهلنا بوجود لعبة

جاسوسية ، خلف شبكة تهريب وترويج المخدرات هذه ، وبالتالى فلن يخطر ببالهم أن نتبع قواعد اللعبة ، بل سيتصوَّرون أنها عملية اعتقال لتجار مخدرات فحسب .

تمتم (عصام) :

ـ أتعشَم ذلك .

ابتسم (عادل) ، وقال :

ـ اطمئن يا صديقى .. سيذهب الجاسوس إلى هناك .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ وسيجد فى انتظاره .. مفاجأة .

* * *

اقتحم (مارك ليفى) حجرة التصوير فى لهفة ، واتجه على الفور إلى علب كروت التصوير ، حيث يتم الاحتفاظ ـ عادة ـ بتجارب الإظهار ، وراح يلقى محتوياتها أمامه ، ويفحصها فى سرعة ، وحاجباه يزدادان انعقادًا مع كل ثانية تمر ، حتى وجد نفسه يتمتم فى حدة :

ـ عجبًا !!.. أين يضع ذلك الحقير تجاربه ؟

تجمَّدت أصابعه ، وتوترت أعصابه كلها بغتة ، عندما أجابه صوت هادئ ، يحمل رنة ساخرة :

تجمَّدت أصابعه ، وتوترت أعصابه كلها بغتة ، عندما أجابه صوت هادئ ، يحمل رنة ساخرة ..

ـــ من العار أن يتحدَّث الأحياء عن الموتى بهذا الأسلوب الحقير .

التفت (مارك) فى حدة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على شاب وسيم ، يبتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـــ خاصة عندما يكونون سببًا فى مصرعهم .

عقد (مارك) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

ـــ من أنت ؟.. وكيف اقتحمت المكان دون استئذان ؟

رفع الشاب حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، تحمل قدرًا هائلًا من السخرية ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !!.. لقد سرقت السؤال من فوق لسانى .. كنت سأسألك الآن فقط نفس السؤال .. أقصد السؤالين .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ـــ وعلى أية حال ، لن يضيرنى أن أجيب عن سؤاليك ، على الرغم من أننى هنا منذ البداية .. اسمى (عصمت) .. (عصمت فوزى) .. وأنا هنا من أجل شخص حقير .

وأطلّ من عينيه بريق حازم ، وهو يردف :

ـــ أنت .

* * *

جاء رد فعل (مارك) قويًا عنيفًا ، يؤكِّد كونه محترفًا بحق ..

إنه لم يكد يسمع عبارة (عصمت) ، حتى تحرَّك فى سرعة مذهلة ، فارتفعت قدمه كالقنبلة ، لتركل وجه هذا الأخير ، وهو يُطلق صيحة قتالية قوية وعنيفة ..

ولكن (عصمت) أيضًا لم يكن هاويًا ..

لقد تفادى الركلة القوية ، ودار بجسده فى سرعة ، ثم هوى بقبضته على معدة (مارك) ، وهو يهتف :

ـــ محاولة رائعة يا رجل .

وأعقب لكمته بأخرى على عنق خصمه ، مستطردًا :

ـــ ولكنها فاشلة .

تلقَّى (مارك) الضربة الثانية على ساعده ، وهو يقول :

ـــ أتظن ذلك ؟

ثم قفز فى سرعة مذهلة ، وركل (عصمت) فى صدره ، مردفًا :

ـــ يبدو أننا سنختلف هنا .

أصابت الركلة (عصمت) فى صدره ، ودفعته إلى الوراء فى عنف ، فارتطم بأحواض التحميض والإظهار ، وسقط معها فى دوى شديد ، فى نفس اللحظة التى انتزع فيها (مارك) مسدسًا ضخمًا من سترته ، وهو يهتف فى حدة :

— ولن يمكث اختلافنا طويلًا .

قالها وضغط زناد مسدسه الآلى ، الذى انطلقت من فوهته عدة رصاصات سريعة ، وهو يتابع .

— لأنك ستموت ..

* * *

انحنى (عادل محمود) بسيارته ، داخل موقف السيارات الخاص بالجريدة ، وأوقفها خلف سيارة (عصام) ، وهو يقول :

— لقد وصلنا .

ألقى (عصام) نظرة حانية على سيارته ، وهو يقول :

— حمدًا لله .. كنت أفتقد مطيتى هذه .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

— اطمئن .. سننتظرك هنا طيلة الوقت .

لم يكد عم (أمين) يلمحهما ، وهما يغادران السيارة ، حتى اندفع نحوهما متهلل الأسارير ، هاتفًا :

— أستاذ (عصام) !.. حمدًا لله على عودتك سالمًا يا ولدى ..

وأشار إلى سيارة (عصام) ، مستطردًا فى حماس :

— لقد عنيت بسيارتك جيدًا .. أكثر مما أفعل فى أية مرة .. كنت أعلم أنك ستعود إليها فى أقرب وقت .

غمغم (عصام) ممتنًا :

— شكرًا لك يا عم (أمين) .. إننى أقدر مشاعرك .

فجأة ضغط (عادل) ذراعه فى قوة ، وهو يقول فى انفعال :

— انظر هناك .. رجال أمن الجريدة يبدون فى حالة توتر شديد .. لقد حدث شىء ما .

وانطلق يعدو نحو المبنى ، و (عصام) يتبعه فى لهفة ، فى حين هتف عم (أمين) خلفهما :

— أستاذ (عصام) .. أردت أن أخبرك أن شخصًا قد فحص سيارتك ، ويقول إنه ....

لم يتم عبارته ، إذ بدا من الواضح أن أحدهما لن يسمعه ، فتوقف ، وهز كتفيه ، قائلًا :

— لا بأس .. سأخبره عندما يعود .. إنها ليست نهاية العالم .

وابتسم ابتسامة واهنة ، مستطردًا :

— ولا نهايتى ..

* * *

لولا مرونة (عصمت) ، وبراعته ، ولولا كل التدريبات ، التى يُحرص عليها فى إدارة مباحث أمن الدولة ، للقى مصرعه حتمًا ، برصاصات (مارك) القاتلة ..

إنه لم يكد يلمح مسدس (مارك) الآلى ، مشهرًا فى وجهه ، حتى قفز جانبًا ، واختفى خلف عدد من الموائد الصغيرة ، المعدّة لحمل أدوات التصوير ، وسمع صوت الرصاصات ، وهى تهشّم مكبر التصوير ، والمصابيح ، وشعر بقطع الزجاج والشظايا ترتطم به ، وصوت (مارك) يتعالى هاتفًا :

ـــ لن تختبئ طيلة الوقت يا رجل .

انتزع (عصمت) مسدسه ، وهو يقول :

ـــ أنت على حق .

وبرز من مكانه فى سرعة ، وأطلق رصاصة نحو (مارك) ، ولكن هذا الأخير قفز جانبًا ، وأطلق عدة رصاصات أخرى نحوه ، أجبرته على العودة للاختباء ، وهو يغمغم فى حنق :

ـــ اللعنة !.. هذا الوغد يمتلك سلاحًا متطوّرًا .

اقتحم رجل أمن الجريدة باب الحجرة فى هذه اللحظة ، صائحًا :

ـــ ماذا يحدث هنا ؟

كان يحمل مسدسًا صغيرًا ، أثار أعصاب (مارك) فى شدة ، حتى أنه لم يكد يلمحه ، حتى أدار جسده كله نحو رجل الأمن ، صائحًا :

ـــ وما شأنك أنت ؟

ومن فوهة مسدسه ، انطلقت عدة رصاصات أخرى ، اخترقت جسد رجل الأمن ، الذى اندفع إلى الخلف بقوة الرصاصات ، ثم سقط جثة هامدة ، والدماء تنبثق من كل جسده ، فى نفس اللحظة التى انقضّ فيها (عصمت) على (مارك) ، صائحًا :

ـــ أيها الحقير .

كانت انقضاضة مباغتة سريعة ، لم يتوقّعها (مارك) ، فسقط مع (عصمت) أرضًا ، وهو يهتف ساخطًا :

ـــ اللعنة !

صاح (عصمت) ، وهو يلكمه فى وجهه :

ـــ اللعنة على ماذا ؟

جاوبه (مارك) بلكمة كالقنبلة ، وهو يهتف :

ـــ عليك .

تلقى (عصمت) اللكمة على ساعده ، واندفعت يده تجذب أنف (مارك) ، وهو يقول :

ــ لا بأس .. ما دام الذى يلعتنى شيطانا ..

وفجأة ، انتابه الذهول ..

لقد جذب أنف (مارك) ، فانتزعه ..

وفى نصف الثانية ، الذى سيطر فيه الذهول على (عصمت) ، قفزت قبضة (مارك) ، لتلكمه خلف أذنه كالصاعقة ..

وألقت الضربة (عصمت) أرضًا ، فاقد الوعى ..

وفى حدة ، هب (مارك) واقفًا ، والتقط مسدسه ، وصوَّبه إلى (عصمت) ، هاتفًا :

ــ الوداع يا رجل الشرطة .. الوداع .

وضغط زناد مسدسه ..

* * *

٩ ــ المذبحة ..

اندفع (عادل) و (عصام) داخل مبنى الجريدة ، وهتف الأوَّل فى رجال الأمن :

ــ ماذا يحدث هنا ؟.. أنا العقيد (عادل محمود) ، من مباحث أمن الدولة .

هتف به أحد رجال الأمن فى توتر :

ــ لسنا ندرى بعد يا سيِّدى .. لقد صعد أحد زملائك منذ قليل ، ثم سمعنا صوت طلقات نارية ، تتردَّد فى المبنى .

صاح (عادل) فى عصبية :

ــ طلقات نارية ؟!

ثم اندفع نحو سلم المبنى ، مستطردًا :

ــ أسرع يا (عصام) .. إنه ذلك الوغد حتمًا ، فلقد أمرت (عصمت) بعدم إطلاق النار ، إلا للضرورة القصوى ..

اندفع الاثنان يصعدان ، و (عصام) يهتف :

ــ ماذا يحدث هناك ؟.. ماذا يحدث ؟

صاح (عادل) ، وهو يلهث :

ــ ما من تفسير آخر يا (عصام) .. لقد لقى أحدهما مصرعه .. حتمًا .

* * *

ضغط (مارك) زناد مسدسه فى غضب ، وهو يصوّب فوهته إلى رأس (عصمت) الفاقد الوعى ..

ولكن المسدس أصدر تكّة خافتة فحسب ..

لقد فرغت خزانته من الرصاصات ..

وفى حنق وسخط وغضب ، هتف (مارك) :

ــ اللعنة !.

ثم أضاف فى حدة :

ــ ولكنك لن تنجو منى أيها المصرى .

أخرج خزانة أخرى من جيبه ، وانتزع خزانة المسدس الفارغة ، وألقاها جانبًا ، ثم وضع الممتلئة بدلًا منها ، وقال :

ــ أرأيت أيها الشرطى ؟ لم يتأجّل موتك إلا لحظات فحسب .

وعاد يصوّب مسدسه إلى رأس (عصمت) ..

وفجأة دوى صوت العقيد (عادل محمود) ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ قِف .. أو أطلق النار ..

ولم يتوقّف (مارك) ..

كجاسوس ، ورجل مخابرات محترف ، لم يفعل ..

لقد استدار على عقبيه فى سرعة البرق ..

ودوى صوت الرصاصات ..

كلاهما أطلق رصاصاته ..

(عادل) .. و (مارك) ..

واخترقت رصاصة (عادل) ذراع (مارك) اليسرى ..

واخترقت رصاصات (مارك) صدر (عادل) .

واتسعت عينا (عصام) فى رعب ، عندما رأى جسد (عادل محمود) يندفع إلى الخلف ، ويرتطم بالمصعد ، ثم يهوى أرضًا ..

وهتف (عصام) فى هلع :

ــ رباه !.. (عادل) ؟!..

ثم رفع عينيه إلى (مارك) ، وتراجع فى ارتياع ..

كان (مارك) يصوّب إليه مسدسه بدوره ..

وقفز (عصام) داخل المصعد ، وهو يهتف :

ــ لا .. ليس أنا .

وأصابت رصاصات (مارك) المصعد ..

ثم تقدم (مارك) ، وهو يقول فى حدة :

ــ لا فائدة أيها الصحفى .. لقد أفسدت وحدة الإغلاق الآلية .. سيبقى المصعد مفتوحًا ، حتى أصل إليك ، وأقتلك .

التصق (عصام) بجدار المصعد فى هلع ..

كان يعلم أن الرجل يقول الحقيقة ..

لقد حطمت رصاصاته وحدة الإغلاق الآلى بالفعل ..

لو لم يحدث هذا ، لأغلقت أبواب المصعد آليًا ..

لقد بدأ العد التنازلى لحياته ..

وفجأة لمح مسدس (عادل) ..

وبسرعة ، التقطه ، وبرز بجسده خارج المصعد ، وأطلق النار ..

وتفادى (مارك) الرصاصة فى سرعة ومهارة ، ثم أطلق رصاصة مسدسه نحو (عصام) ، الذى شعر بالألم فى كفه ، عندما أصابت رصاصة (مارك) مسدسه ، وأطاحت به بعيدًا ..

وهتف (مارك) فى سخرية وشراسة :

ــ محاولة فاشلة أيها الصحفى .. إنك بارع فى الإمساك بالقلم فحسب ، أما المسدس فلا .

التصق (عصام) بجدار المصعد فى هلع :
كان يعلم أن الرجل يقول الحقيقة ..

تراجع (عصام) فى يأس وهو يهتف فى حنق ومرارة :

ــ أيها الحقير .

كان موته محتمًا هذه المرة ..

لا .. لا يوجد أى شىء محتم فى العالم ..

لقد وصل رجال الأمن فى هذه اللحظة ..

وارتفع صوت بعضهم ، وهو يهتف :

ــ قِف يا رجل .. ألق سلاحك أو ....

واستدار إليهم (مارك) فى سرعة ..

وانطلقت رصاصات مسدسه الآلى ..

نهر من الدم سال ..

شلال من الألم انهمر فى القلوب والنفوس ..

لقد أدرك الجاسوس أن معركته خاسرة ، فشق طريقه بالنيران ..

والدم ..

ومن حُسن حظه ، وسوء حظهم ، أنه كان يواجه رجال أمن الجريدة ، الذين تقتصر مهارتهم على تسجيل أسماء الزائرين ، وحراسة المنشأة من أخطار متوقَّعة ، لم يجابهْا أحدهم فى حياته أبدًا ..

أما (مارك) ، فكان خبيرًا ..

لم تخطئ رصاصة واحدة له هدفها ..

الوحيدان ، اللذان كانا يمتلكان مثل خبرته ، كانا خارج اللعبة ، أحدهما مصاب برصاصات عديدة فى صدره ، والآخر فاقد الوعى ..

لهذا نجح (مارك) فى مغادرة المكان ، وشق طريقه بالقوة ..

وعندما قفز إلى سيارته ، خارج المبنى ، كان قد قتل كل رجال الأمن تقريبًا ..

لقد انتصر فى هذه الجولة ..

* * *

بقى (عصام) مسمَّرًا فى مكانه طويلًا ، بعد توقُّف إطلاق النار ..

كانت تلك المذبحة ، التى شهدها بعينيه ، تحطِّم أعصابه تحطيمًا ..

لم يكن قد رأى ــ فى حياته كلها ــ كل هذا القدر من الدماء المراقة ..

كان هذا أبشع ما حدث له فى حياته كلها ..

ولكنه انتزع نفسه منه ..

كان هناك ما يحتم عليه أن يفعل ..

لقد بقى وحده ..

كان الوقت ليلًا ، فلم يعد هناك فى المبنى سواه ، بعد مصرع جميع رجال الأمن ..

والتفت (عصام) إلى (عادل) ، وتحسَّس جراحه ، ثم هتف فى ذعر :

ــ رباه !! إنه سيلحق بالجميع .

وفى هلع ، قفز من مكمنه ، وانطلق يبحث عن هاتف ، حتى عثر على واحد ، فأسرع يتصل بالإسعاف ورجال الشرطة ، ثم صاح :

ــ قد لا يصلون فى الموعد المناسب .. من الضرورى أن أنقل (عادل) بنفسى إلى أقرب مركز إسعاف .

راح يتلفَّت حوله فى هلع ، وقد شارف الانهيار ، لكل هذه الضغوط على أعصابه ، حتى أتاه صوت بوق سيارة الإسعاف ، وسيارات الشرطة ، فهتف :

ــ لقد وصلوا .. لعنة الله على كل ما حدث .. لقد وصلوا ..

ثم سقط ..

سقط فاقد الوعى ..

* * *

١٠ ــ انفجار ..

« اطمئن .. إنه سيشفى » .

تسلَّلت تلك العبارة إلى أذنى (عصام) بغتة ، وهى تحمل صوت (عصمت) ، ففتح (عصام) عينيه ، وبهره الضوء لحظة ، ثم لم يلبث أن تبيَّن ما أمامه من تفاصيل ، ورأى (عصمت فوزى) يتطلَّع إليه فى مرارة ، فتمتم ، وهو يضغط مؤخرة عنقه بكفه ، فى محاولة لطرد ذلك الصداع الرهيب ، الذى ملأ رأسه :

ــ من هذا الذى سيشفى ؟

أجابه (عصمت) فى دهشة :

ــ سيادة العقيد (عادل محمود) !.. ألم تسأل عنه ، فور استعادتك وعيك ؟!

تمتم (عصام) فى حيرة :

ــ سألت عنه ؟!

لم تكن هناك جدوى من التساؤل ..

كان من الواضح أنه قد استعاد وعيه منذ لحظة أو أكثر ..

أو بمعنى أدق ، استفاق من غيبوبته ، وسأل (عصمت) عن (عادل) ..

لقد فعل حتمًا .. متى ؟.. وأين ؟.. ليس يدرى !

ولكن هذا لا يهم ..

المهم هو أن (عادل) سيشفى بإذن الله ..

وفى استسلام ، راح يستمع إلى (عصمت) ، وهو يقول فى غضب :

ــ لقد أطلق ذلك الحقير على صدره ست رصاصات ، كادت ثلاث منها تخترق قلبه ، لولا أن أصابت ضلوعه ، فانحرفت لبضع مليمترات ، أنقذت حياته ، ولكن هذا لا يمنع من أنه قد أصيب بتهتك فى الرئة اليمنى ، وبنزيف داخلى ، وآلام مبرحة فى القفص الصدرى .

تمتم (عصام) فى مرارة :

ــ وأين هو الآن ؟

أجابه (عصمت) فى حدة :

ــ فى حجرة العمليات بقصر العينى .. لقد نقلناه من هنا بهليوكوبتر خاصة ، والأطباء هناك يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذه ، ولكنهم يؤكدون ، على الرغم من سوء حالته ، أنه سينجو بإذن الله .

هتف (عصام) فى ألم :

ــ وهل نجح هذا الجاسوس الحقير فى الفرار ؟

أجابه (عصمت) فى حنق :

ــ للأسف .

وزفر من أعمق أعماق صدره ، قبل أن يضيف فى حزم :

ــ ولكن هذا لن يستمر طويلًا .. لقد أراق ذلك الحقير دماء رجل شرطة ، واثنين من مصوِّرى الصحف ، واثنى عشر رجلًا من أمن الجريدة ، وهو لن ينجو بكل هذه الأفعال أبدًا .

قال (عصام) فى سرعة :

ــ لقد رأيته ، ويمكننى أن أصفه .

هزَّ (عصمت) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لم يكن هذا وجهه الحقيقى .. كان قناعًا من البولى إيثيلين الرقيق .. لقد استعدت وعيى ، لأجد أنفه فى كفى ، وشاربه على الأرض .. لقد هزمنا الوغد فى تلك الجولة .

غمغم (عصام) فى مرارة :

ــ هل سنقر بالهزيمة ؟

هتف (عصمت) فى حزم :

ــ محال .

ثم أمسك كتفى (عصام) ، مستطردًا :

ــ اسمع يا فتى .. لقد طلبت منى مرة أن نعمل معًا .. أليس كذلك ؟

هتف (عصام) :

ــ بلى .. كان ذلك فى قضيتى السابقة .. لقد رأيتك تعمل حينذاك ، وأدركت أنك شخص فريد حقًا(*).

أجابه (عصمت) فى حزم :

ــ فليكن .. سنعمل معًا هذه المرّة .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى حماس :

ــ رائع .. ألديك خُطة ؟

أومأ (عصمت) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. إنها ليست خُطتى أنا فى الواقع .. إنها الخطّة البديلة ، التى وضعها سيادة العقيد ، فى حالة عدم إقدام ذلك الجاسوس على العودة ، وسنعمل على تنفيذها ، كما لو أنه لم يعد بالفعل .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ ما هى ؟

(*) راجع قصة (انتحار مقاتل) .. المغامرة رقم (٤٩) .

اعتدل (عصمت) ، قائلًا :

ــ سأخبرك يا فتى .. سأخبرك بكل التفاصيل ..

* * *

فى ذلك المنزل الأنيق ، فى وسط (القاهرة) ، جلس (مارك ليفى) أمام تلك المنضدة الصغيرة ، التى استقرّ فوقها ذلك الجهاز الصغير ، الشبيه بالآلات الحاسبة ، وهو ينفث دُخان سيجارته فى توتر واضح ، وعصبية ملموسة ..

كان قد أرسل تقريرًا بما حدث ، عبر جهازه المتطوّر ، إلى رؤسائه فى (تل أبيب) ، وجلس ينتظر قرارهم ..

وكان يعلم أن القرار لن يكون سهلًا ..

لن يكون كذلك أبدًا ..

وهناك ..

فى مقر رئاسة مخابراته ..

كان أحد رؤسائه يقول :

ــ الأمر الآن ينطوى على مخاطرة جمة .. لقد أعدّوا كمينًا لـ(مارك) ، وهذا قد يعنى أنهم قد كشفوا أمره على نحو أو آخر ، واستمراره فى أداء مهمته ، على الرغم من ذلك ، سيعرّضه إلى خطر الوقوع فى أيديهم ، ومن العسير أن نخاطر بفقد رجل مثله ، فأنتم تعلمون أن رجلًا مثل (مارك ليفى) يصعب تعويضه .. ما لم يكن ذلك مستحيلًا .

أجابه آخر فى هدوء :

ــ لهذا السبب أرفض عودة (مارك) ، يا عزيزى (بن زايون) .. فوضع (مارك) فى موقعه هذا لم يكن بالأمر اليسير .. لقد كان من أشق الأعمال ، التى قمت بها ، منذ مشاركتى فى حرب عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين ، و (مارك) هذا يعدّ أفضل من يمكنه العمل فى (مصر) ، بحكم مولده ، ولقد تجشمنا الكثير .. والكثير جدًّا من الجهد والمال ، لتمنحه تلك الهوية المصرية ، واستدعاؤنا له الآن يعنى أن نتخلّى عنها .

زمجر (بن زايون) ، وهو يقول :

ــ هذا أفضل من التخلّى عنه يا (إليعازر) .

ابتسم (إليعازر) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ــ ومن قال إننا سنفعل ؟

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :

ــ إنك تبنى مخاوفك كلها على احتمال واحد ، ألا وهو أن المصريين قد كشفوا أمر (مارك) ، ولو سألتنى رأيى ، فأنا أجد هذا الاحتمال واهيًا ، فما فعلوه معه لم يكن ليختلف كثيرًا ، لو أنهم يطاردون تاجر مخدرات مخضرم .

هتف (بن زايون) معترضًا :

ــ وماذا لو أنهم قد كشفوا أمره ؟

أسرع (إليعازر) يقول :

ــ وماذا لو أنهم لم يفعلوا ؟.. هل نهدم أقوى عملياتنا فى (مصر) ، لمجرَّد الخوف من احتمال واه ؟.. إننا لم نطلب من (مارك) العودة ، عندما سقطت الشبكة الأخرى ، منذ أقل من عام .. لقد جعلناه يواصل عمله ، ويواصل تأكيد هويته المصرية ، ويزداد تعمقًا فى هذا المكان ، فهل نتراجع عن كل ذلك الآن ؟.. يا للعار !!.. إن وجود (مارك ليفى) فى قلب (مصر) يعدّ أعظم عمل لنا ، عبر تاريخنا الطويل .. إنه الرد المثالى على عملية زرع (رفعت الجمال) ، ذلك المصرى الذى أقام وسطنا ، واكتسب ثقتنا ، والذى أرسله المصريون إلينا فى الخمسينيات(*) .

تبادل أعضاء مجلس الرئاسة النظرات ، ثم قال أكبرهم رتبةً :

(*) (رفعت على سليمان الجمال) = نُشرت قصته فى (مصر) ، تحت اسم (رأفت الهجّان) ، ولقد ضمته المخابرات المصرية إلى صفوفها ، مع بداية نشأتها ، وتولّاه برعايته أبرع ضباط المخابرات المصرية (محسن عبد الرءوف) ، الذى جعل منه أشهر جاسوس عبر التاريخ ، حيث أقام ما تبقى له من العمر فى قلب (إسرائيل) ، باسم (جاك بتون) ، دون أن يُكشف أمره قط .

— فليكن .. سنتباحث فى الأمر ، على نحو عملى ، على أن نتخذ قرارنا فى الصباح على أكثر تقدير ، فإما أن يواصل (مارك) مهمته ، وتزعمه لشبكة المخدرات فى (مصر) .. أو نطالبه بالعودة على الفور ، قبل أن يحكم المصريون قبضتهم عليه .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

— المهم ألا نفقده .. أبدًا ..

* * *

انتهى (عصام) من كتابة ذلك المقال ، الذى اقترحه (عصمت) ، وناوله إليه ، قائلًا فى اهتمام :

— أهذا مناسب ؟

تناول (عصمت) المقال ، وراح يقرؤه فى اهتمام ، ثم أعاده إليه ، قائلًا :

— تمامًا .. إنه سيدفع الفأر لمغادرة جحره فى اطمئنان .

أضاف (عصام) متحمسًا :

— والإقبال علينا فى الوقت نفسه .

أومأ (عصمت) برأسه ، مجيبًا :

— تمامًا ..

ثم أضاف فى صرامة ، تحمل رنة غاضبة :

— وأقسم إنه سيتمنى الموت عندئذ .

قال (عصام) فى حزم :

— المهم أن يقع فى أيدينا أوّلًا .

ونهض من خلف مكتبه ، مستطردًا :

— هيّا .. سنذهب بالمقال إلى المطبعة ، حتى نضمن نشره فى الطبعة الثانية للجريدة .. هيّا ..

* * *

تثاءب (عصام) فى شدة ، وهما يعودان من المطبعة ، ويتجهان إلى موقف سيارات الجريدة ، وقال لـ (عصمت) فى تهالك :

— أتصدّق أننى لم أذق طعم النوم ، منذ صباح أمس ؟!.. إننى أكاد أسقط نائمًا .

غمغم (عصمت) :

— هيّا .. سأرافقك إلى منزلك ، وستحصل هناك على كل النوم الذى تريده .

ابتسم (عصام) ، وهو يتطلّع إلى عم (أمين) ، الذى استغرق فى النوم ، إلى جوار كوخه الخشبى الصغير ، وتمتم :

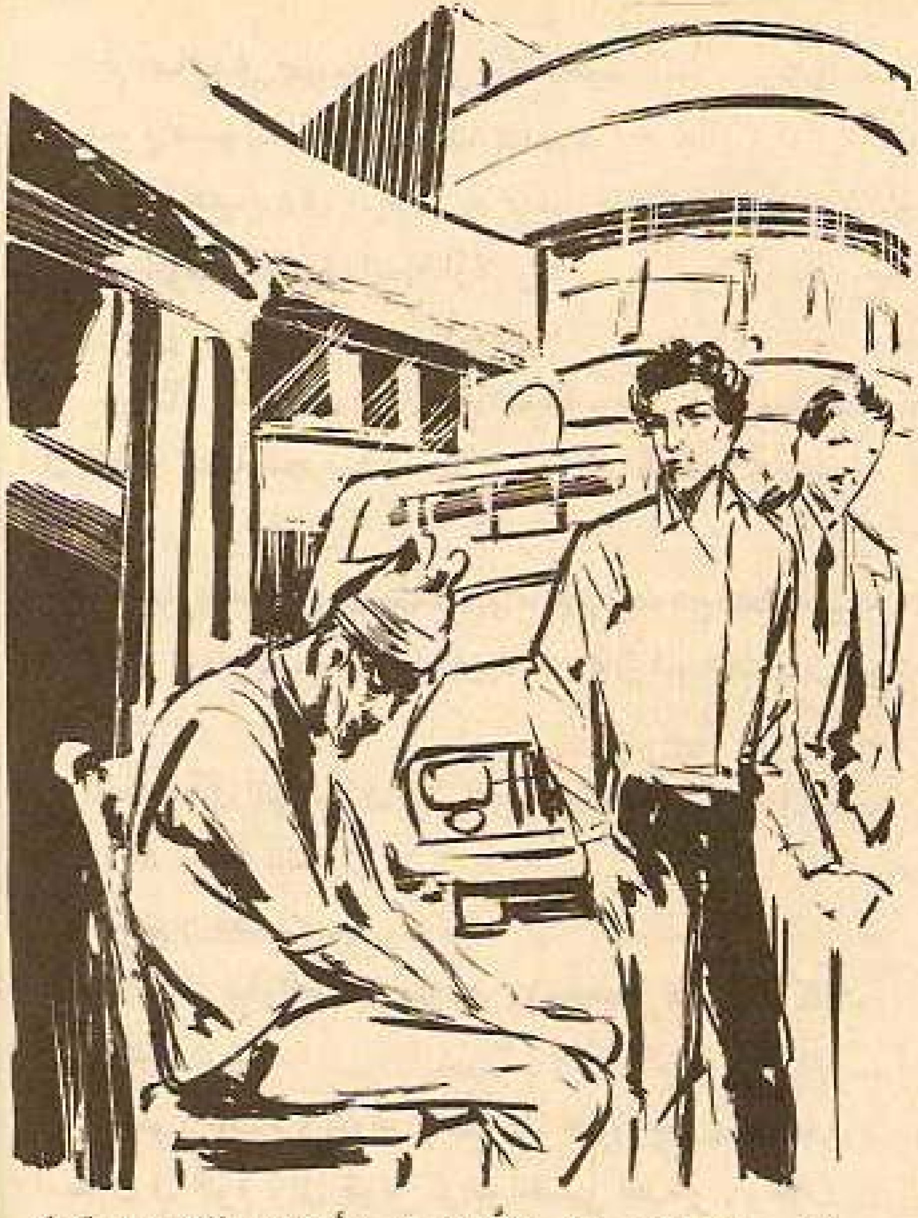

ابتسم (عصام) ، وهو يتطلَّع إلى عم (أمين) ، الذى استغرق فى النوم ، إلى جوار كوخه الخشبى الصغير ..

ـــ أتعشَّم ذلك .

استيقظ عم (أمين) فى تلك اللحظة ، وهتف :

ـــ أستاذ (عصام) .. طاب مساؤك يا ولدى .. سيارتك أصبحت الوحيدة هنا ، فهى لم تغادر موقعها منذ الصباح .

تمتم (عصام) :

ـــ أعلم يا عم (أمين) ، وشكرًا لرعايتك إياها .

هتف عم (أمين) :

ـــ إننى أميل إليها كثيرًا .

ثم التقط المفاتيح من يد (عصام) ، قائلًا فى حماس :

ـــ هيا .. استرح أنت ، وسأدير أنا المحرِّك ، فستحتاج سيارتك إلى بعض الوقت ، حتى يحصل محرِّكها على درجة السخونة الكافية .

تركه (عصام) يتجه إلى السيارة ، وأشار إلى مقعدين خشبيين صغيرين ، وهو يقول لـ (عصمت) .

ـــ ما رأيك أن نحصل على قدر من الراحة ، حتى ينتهى عم (أمين) من إعداد السيارة ؟

تمتم (عصمت) فى توتر :

ـــ اجلس أنت لو أردت .

سأله (عصام) فى إعياء ، وهو يلقى جسده المنهك فوق أحد المقعدين :

ــ ألا ترغب فى بعض الراحة ؟

أجابه (عصمت) فى صرامة :

ــ لن أنعم بها ، إلا بعد أن ألقى القبض على ذلك الوغد .

ارتفع صوت عم (أمين) ، وهو يقول :

ــ ألم تتعرف الفاعل بعد يا سيِّدى ؟

أجابه (عصمت) فى سخط :

ــ ليس بعد يا عم (أمين) .. ولكننى سأفعل بإذن الله .

هزَّ عم (أمين) رأسه مشفقًا ، وقال وهو يفتح باب سيارة (عصام) :

ــ يا له من يوم !!

ثم جلس على مقعد القيادة ، مستطردًا :

ــ أظن سيارتك على ما يرام الآن يا أستاذ (عصام) .

تمتم (عصام) فى تراخ :

ــ إنها هكذا منذ فترة طويلة .

دسّ عم (أمين) مفتاح إدارة المحرِّك ، فى الثقب الخاص به ، وهو يقول :

ــ لماذا أضفت إليها ذلك الجهاز إذن ؟

اعتدل (عصام) ، وهو يسأله فى دهشة :

ــ أى جهاز ؟

أجابه عم (أمين) فى بساطة :

ــ ذلك الجهاز ، الذى أرسلت أحد الرجال لإضافته إليها اليوم ، و .....

هتف (عصمت) فى ذعر ، عندما أدرك مغزى الأمر :

ــ احترس يا عم (أمين) .. لا تُدِرْ المحرِّك .. لا ..

ولكن عبارته تأخرت جزءًا من الثانية ..

لقد أدار عم (أمين) المفتاح بالفعل ..

ودوّى الانفجار ..

* * *

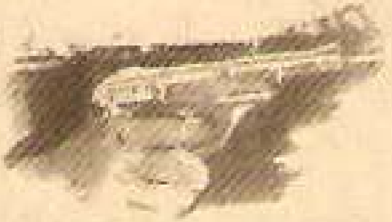

١١ ــ الفخ ..

لم يغمض جفن (مارك) لحظة واحدة ، حتى الصباح التالى ..

لقد أقلقه أمر تأخر رد رؤسائه للغاية ، حتى أنه بات ليلته كلها يضرب أخماسًا فى أسداس ..

وفى الصباح وصله الرد ..

كان عبارة عن كلمة واحدة ، أثلجت صدره ، وأفرغت توتره كله ..

استمر ..

كلمة من ستة حروف ، جعلت الحماس يتأجّج فى صدره مرة أخرى ..

إذن فقد قرّر له رؤساؤه ما أراده هو منذ البداية ..

وافقوا على استمراره ..

وسيثبت لهم أنه جدير بذلك ..

سيدير الشبكة على أكمل وجه ..

وفى غمرة حماسه ، اندفع يغادر منزله ، ويبتاع صحف الصباح ..

وفى تلك الصحيفة ، التى يعمل بها (عصام) ، قرأ ذلك المقال ، الذى أعدّه هذا الأخير ، فى المساء السابق ..

وانعقد حاجباه ..

كان مقال (عصام) يصف كل ما حدث ، بكل التفاصيل ، فيما عدا أنه لم يشر مطلقًا إلى أن القاتل المجهول ، الذى ارتكب كل هذا ، هو جاسوس أجنبى ..

لقد أشار إليه كواحد من أخطر مهربى المخدرات ، يسعى لإعدام دليل إدانته الوحيد ، الذى يتمثّل فى صورة واحدة ، حصل على فيلمها السلبى ، وعلى نسختها الأنيقة ، دون أن يحصل على تجربة إظهارها ..

لم يشر (عصام) إلى وجود تجربة الإظهار هذه على نحو واضح ، وإنما أشار إليها بطرف خفى ، التقطه (مارك) على الفور ، بحكم خبرته فى هذا المجال ..

وفى جزء صغير من صفحة الحوادث ، أشار محرّر آخر إلى حادثة انفجار سيارة (عصام) ، لخلل طارئ فى محرّكها ، ومصرع عم (أمين) المسكين داخلها ..

وفى غضب ، سحق (مارك) الصحيفة فى قبضته ، وهو يغمغم :

ـــ ذلك الوغد .

وعاد إلى منزله محنقًا ، والتقط مسدسه ، وتأكّد من حشوه ، ثم ..

توقّف بغتة ..

دار فى رأسه ذلك الاحتمال ، بأن يكون كل هذا مجرّد فخ ..

وهنا راح عقله الشيطانى المدرَّب يعمل ..

وفى هدوء المحترفين اتجه إلى مكتبه ، والتقط منه ملفًا ضخمًا ، يحوى كل المعلومات اللازمة عن (عصام) ، راح يراجعها فى دقة واهتمام ، حتى توقّف عند أحدها ، وتألّقت عيناه ببريق شرس ، وهو يبتسم ابتسامة وحشية ، مغمغمًا :

ـــ ها هى ذى :

ثم أعاد الملف إلى موضعه ، واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـــ بهذه النقطة وحدها ، نتقى شر هذا الصحفى المغامر .

* * *

اختلس أفراد قسم الحوادث كلهم النظر إلى (عصمت) ، الذى جلس إلى جوار (عصام) ورئيس القسم ، والثلاثة يتبادلون حوارًا هامسًا ، ومالت إحدى صحفيات القسم نحو زميلتها ، تغمغم :

ـــ من هذا الوسيم ؟

أجابتها زميلتها ، وهى تختلس النظر بدورها إلى (عصمت) :

ـــ يبدو أنه أحد رجال الشرطة .

غمغمت الأولى فى استنكار :

ـــ الشرطة ؟!.. مستحيل !

تطلّعت إليها زميلتها فى دهشة ، وهى تقول :

ـــ ولماذا مستحيل ؟

ابتسمت الأولى ، مغمغمة :

ـــ إنه وسيم للغاية .

ضحكت زميلتها ، هامسة :

ـــ أمن الضرورى أن يكون رجال الشرطة غير ذلك ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـــ ليس من الضرورى ، ولكن عادةً .

ابتسمت زميلتها ، قائلة :

ـــ ولكنه رجل شرطة بالفعل .

هتفت بها فى دهشة .

ـــ كيف عرفت ؟

مالت نحوها ، تهمس على نحو يوحى بخطورة الأمر :
ـ إنه يحمل مسدسًا .
عقدت الأولى حاجبيها ، قائلة فى اعتراض :
ـ هذا ليس دليلًا .
هزّت زميلتها كتفيها ، قائلة :
ـ هذا شأنك .
ثم عادت تولى عملها انتباها ، فى حين راحت الأولى ترمق الرجال الثلاثة بنظرات الفضول ، وهى تهمس فى لهفة :
ـ تُرى فِيمَ يتهامسون ؟..
لم يدر الثلاثة ما يدور حولهم ..
أو أنهم قد تجاهلوه ..
وكان (عصام) يقول فى توتُّر :
ـ أتظن حقًّا أن صاحبنا سيقع فى هذا الفخ ؟
أجابه (عصمت) فى حزم :
ـ احتمال كبير أن يفعل .
هزَّ (عصام) كتفيه مغمغمًا :
ـ لست أدرى .. إننى أتصوّره أذكى من ذلك .
تردَّد رئيس القسم لحظات ، ثم قال :

ـ أتريدان رأيى ؟
أجابه (عصمت) على الفور :
ـ بالطبع .
تردَّد الرجل مرَّة أخرى ، ثم اندفع يقول :
ـ أظن أن هذا الرجل لن يأتى ؟
تراجع (عصمت) ، وهو يقول فى غضب :
ـ كيف ؟
ولكن رئيس القسم استطرد فى سرعة :
ـ ولكنه سيسعى للحصول على دليل إدانته ، فى الوقت ذاته .
تطلَّع إليه (عصمت) فى استنكار شديد ، فى حين سأله (عصام) فى اهتمام :
ـ كيف يتفق هذا وذاك ياسيِّدى ؟
أجابه الرجل فى انفعال :
ـ لو أنه محترف بحقّ ، فسيشم رائحة الفخ فى كل هذا ، وسيسعى حتمًا لتأمين نفسه .
عاد (عصام) يسأله فى فضول واهتمام :
ـ كيف ؟

تنهّد الرجل ، وأجاب :

ـــ لست أدرى كيف .. ولكنه سيفعل ما أقول .. سيفعله حتمًا ..

* * *

هتفت (نهلة شديد) ، خطيبة (عصام) ، وهى تشير إلى مقاله :

ـــ انظر يا أبى .. كل هذا يحدث أمس ، دون أن يخبرنى (عصام) عنه شيئًا .

مطّ والدها العالم (أحمد شديد) شفتيه ، وهو يقول فى ضجر :

ـــ إنه لا يُخبرك شيئًا عن عمله فى المعتاد ، فما الذى يحنقك هذه المرة

هتفت غاضبة :

ـــ ألم تقرأ المقال ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـــ لا .. إننى أجد تلك التحقيقات البوليسية مملة .

هتفت مستنكرة :

ـــ أبى ؟!

لوّح بكفه ، متمتمًا فى لهجة ساخرة :

ـــ فيما عدا تحقيقات (عصام) بالطبع .

رمقته بنظرة معاتبة ، فاسترخى فى مقعده ، وقال فى لهجة رجل ملول :

ـــ حسنًا .. ما الذى يقوله خطيبك الهمام هذه المرّة ؟

راحت تقرأ المقال فى حماس ، وهو يستمع إليها فى تراخ ، حتى ابتسم ابتسامة رجل يقاوم النوم ، وهو يقول :

ـــ إذن فقد فقَدَ سيارته .

قالت غاضبة :

ـــ أهذا أمر يستوجبُ الابتسام يا أبى ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـــ بل الضحك .

هتفت ساخطة :

ـــ أبى ؟!

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

ـــ فى الواقع يا بنتى العزيزة ، تحقيقات خطيبك هذه تشبه تلك الأفلام الأمريكية ، التى تنهال فيها الرصاصات بالأطنان .

هتفت معترضة :

ـــ ولكنها حقيقية يا أبى .

صاح ساخرًا :

ـــ مستحيل !!

ارتفع رنين جرس الباب فى تلك اللحظة ، فنهض إليه ، قائلًا :

ـــ أتصدقين هذا ؟

هتفت به غاضبة :

ـــ بالطبع .. إننى أصدِّق كل كلمة يكتبها (عصام) .

ضحك وهو يتجه إلى الباب ، قائلًا :

ـــ أما أنا فلا ، فلن أصدِّق أبدًا أننا هنا فى (مصر) يمكننا أن نواجه مسدسًا مشهرًا فى وجوهنا ، كلما تحركنا .

قال هذا ، وهو يفتح باب منزله ، ثم تطلَّع فى حيرة إلى ذلك العملاق ، الذى حجب ما خلفه تمامًا ، وهو يقول :

ـــ الدكتور (أحمد شديد) ؟!

أجابه الدكتور (أحمد) فى حيرة :

ـــ هو أنا يا سيِّدى .. ما الذى يمكننى تقديمه إليك ؟

قال العملاق فى صرامة :

ـــ ابنتك .

حدَّق الدكتور (أحمد) فى وجهه بذُهُول ، مغمغمًا :

ـــ ماذا ؟

وفجأة حدث له ما لم يصدِّقه قط ..

ارتفع مسدس فى وجهه ..

ومن خلفه ارتفع صوتٌ قاسٍ ، صارمٌ ، يقول :

ـــ ألم تسمعنى أيها العالم ؟.. أقول إننى أريد ابنتك .. ابنتك (نهلة) ، خطيبة (عصام كامل) ..

* * *

لم يكد رنين هاتف (عصام) يرتفع فوق مكتبه ، حتى قفزت يده تختطف سمَّاعته فى خفة ، وهو يقول :

ـــ هنا (عصام كامل) .. من المتحدِّث ؟

أتاه صوت صارم يقول :

ـــ إنه أنا يا فتى .

ارتجف جسد (عصام) ، وقد تعرَّف الصوت على الفور ، وتمتم :

ـــ من أنت ؟

أجابه الصوت فى قسوة :

ـــ أنا من تحمل صورته يا فتى .

رانَ الصمت تمامًا ، داخل قسم متابعة الحوادث ، واتجهت الأنظار كلها نحو (عصام) ، وخاصة أنظار رئيسه ، و (عصمت) الذى عقد حاجبيه فى شدة ، فى حين تصبَّب عرق بارد على وجه (عصام) ، وهو يقول :

ـ وماذا تريد ؟

أجابه (مارك) :

ـ أريد تجربة الإظهار ، التى تدعى وجودها بحوزتك .

ازدرد (عصام) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ تعال وخذها إذن .

أطلق (مارك) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ معذرة يا فتى .. ستحضرها أنت إلىّ .

قال (عصام) فى حدَّة :

ـ وما الذى يجبرنى على ذلك ؟

تجمَّدت الدماء فى عروقه بغتة ، عندما نقلت إليه الأسلاك صوت (نهلة) المرتجف ، وهى تقول :

ـ أعطه ما يريد يا (عصام) .. أرجوك .

اتسعت عينا (عصام) فى رعب ، وهتف فى ارتياع :

ـ (نهلة)؟!.. أين أنت ؟.. ما الذى فعله بك ذلك الحقير ؟

سرت موجة من الارتياع فى القسم ، وعضّ (عصمت) شفته السفلى ، وهو يقول فى مرارة :

ـ اللعنة !!

أما (عصام) ، فقد كاد ينهار ، عندما ابتعد صوت (نهلة) ، وأتاه صوت (مارك) مرة أخرى ، قائلًا :

ـ ما رأيك يا (فتى) ؟

هتف (عصام) محنقًا :

ـ اسمع أيها الوغد .. إياك أن تمسّ شعرة واحدة من رأسها ، وإلا فسأسحقك سحقًا .

أطلق (مارك) ضحكة ساخرة أخرى ، وهو يقول :

ـ هذا يتوقَّف على استجابتك وتعاونك أيها الصحفى .

اختنق صوت (عصام) وتحشرج ، وهو يقول :

ـ ماذا تريد ؟

أتاه صوت (مارك) صارمًا قاسيًا ، وهو يقول :

ـ تجربة الإظهار .

هتف (عصام) فى مرارة :

ـ لاتوجد أية تجارب إظهار ، لقد كان ذلك مجرَّد خدعة .

أجابه (مارك) فى وحشية :

ـــ سيكون هذا من سوء حظك يا فتى .. اسمعنى جيدًا .. سأخاطر مخاطرة واحدة وأخيرة .. إننى هنا ، فى منزل خطيبتك الرقيقة الجميلة ، وسأنتظرك بعد ساعة واحدة ، وعندما تأتى ، احرص على أن تكون تجربة الإظهار معك .

وفى صوت قاس ، أضاف :

ـــ وحذار أن تبلغ أى مخلوق بالأمر ، فمهما بلغت حنكة وخبرة من ستخبره ، فهو لن يبلغ سرعتى فى إطلاق النار على رأس خطيبتك الحسناء .

هتف (عصام) فى هلع :

ـــ لا .. سأحضر فى الموعد .

أجابه (مارك) فى شراسة :

ـــ ساعة واحدة .. هل تفهم ؟

قال (عصام) فى انهيار :

ـــ نعم .. أفهم .. أفهم .

وهنا أنهى (مارك) الاتصال ، فقفز (عصمت) من مقعده ، وهتف :

ـــ ماذا ستفعل ؟

قلّب (عصام) كفيه فى يأس ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى .. إنه يطلب تجربة الإظهار ، وإلَّا قتل (نهلة) .

عقد (عصمت) حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ـــ فليكن .

هتف رئيس القسم :

ـــ فليكن ماذا ؟.. الموقف دقيق للغاية كما ترى .

هزَّ (عصمت) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ على العكس .. إننا على الأقل نعرف أين هو ذلك الوغد .

صاح (عصام) فى وجهه :

ـــ اسمع يا (عصمت) .. لا تتدخل فى هذا الأمر .

التفت إليه (عصمت) فى حدة ، وهو يقول :

ـــ حاول أن تمنعنى .

صاح (عصام) فى ثورة :

ـــ إنها خطيبتى .. ألا تدرك هذا ؟

هتف (عصمت) محتدًّا :

ـــ وهذا الجاسوس الحقير يهدِّد أمن (مصر) كلها .

تراجع (عصام) فى دهشة ، وهو يهتف :

— أيعنى هذا أنك ستضحى بـ(نهلة) لتناله ؟

صمت (عصمت) بعض الوقت فى صرامة ، فصاح (عصام) :

— هذا ما ستفعله قطعًا .

أجابه (عصمت) فى حزم :

— كلًّا ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

— لن نضحى بأحد .. هذا الوغد وقع أخيرًا فى خطإٍ قاتل .. إنه يريد تجربة الإظهار .. فلنمنحه إيَّاها إذن .

هتف (عصام) محنقًا :

— يا للذكاء !!.. ألا تدرك أننا لا نملكها ؟

أجابه (عصمت) فى غموض وحزم :

— بلى .. أدرك ذلك .. ولكننا — على الرغم من هذا — سنمنحه إياها .

هتف (عصام) فى دهشة :

— كيف ؟

أجابه فى حزم :

— سأخبرك يافتى .. سأخبرك أنا كيف ..

* * *

١٢ — النهاية ..

نقل الدكتور (أحمد شديد) بصره ، فى قلق وتوتر ، من وجه (مارك) إلى ساعة الحائط ، المعلّقة خلفه ، إلى مسدس هذا الأخير المشهر فى وجهه ووجه ابنته ، قبل أن يقول فى توتر :

— أتظنه سيأتى ؟

ابتسم (مارك) فى سخرية ، وهو يقول :

— المفروض أن تجيب عن أنت هذا السؤال ، فهو خطيب ابنتك .

هزّ الدكتور (أحمد شديد) رأسه ، وضغط كف ابنته فى رفق ، وكأنما يبثها بعضًا من شجاعة يفتقر هو إليها ، وهو يقول :

— لا أظن أحدًا يمكنه الإجابة عن هذا السؤال ، فـ(عصام) هذا شخصية متناقضة ، تجده تارة هادئًا رقيقًا ، وتارة أخرى شرسًا عنيفًا .

قالت (نهلة) فى حزم :

— ولكنه سيأتى .

ابتسم (مارك) فى سخرية ، وتطلّع إلى الطريق ، من خلف أستار النافذة ، فى حذر ، فأضافت (نهلة) فى عصبية :

— لن يتخلّى عنى .

غمغم (مارك) فى برود :

— سيكون من سوء حظكما ألا يفعل .

سألته فى خوف :

— لماذا ؟

أجابها فى لهجة أقرب إلى السخرية :

— لأننى ، وبعد مضى الساعة تمامًا ، سأقتلكما .

تراجعت فى رعب ، وانكمشت وهى تلتصق بأبيها ، الذى قال فى حدة :

— هُرَاء .

التفت إليه (مارك) فى مزيج من الدهشة والغضب والصرامة ، فأضاف محتدًا :

— إنك لن تقتلنا لهذا السبب .

عادت الابتسامة الساخرة إلى شفتى (مارك) ، وهو يقول :

— هل تراهن ؟

أدهشه أن أجابه العالم فى حدة :

— نعم .. أراهن .

عقد (مارك) حاجبيه فى غضب ، وصوّب فُوّهة مسدسه إلى رأس العالم ، قائلًا :

— من السهل حسم هذا الرهان الآن .

أجابه الدكتور (أحمد) فى تحدٍّ :

— افعل لو أردت ، فلا فارق .

ردّدت (نهلة) فى هلع :

— لا فارق ؟!

أجابها والدها فى حزم :

— نعم يا بنيتى .. لا فارق .. لا تصدّق هذا الوغد .. إنه سيقتلنا حتمًا .. سواء جاء (عصام) أم لا .

هتفت فى رعب :

— ربّاه !!

فى حين ابتسم (مارك) فى سخرية ، مغمغمًا :

— هكذا ؟!.. يا لك من عبقرى !!.. كيف عرفت هذا ؟

أجابه فى حدة :

— لست غبيًّا لأدرك أنك لا تترك خلفك شهودًا أو أدلة ..

هذا ما يؤكده كل تصرّف أتيته منذ أمس .. لقد أدركت هذا ، مثلما أدركت أن هذه ليست ملامحك الحقيقية .

انعقد حاجبا (مارك) ، وتوتر فى شدة ، وهو يقول :

ـــ هكذا ؟

أجابه العالم فى صرامة :

ـــ صحيح أنك تجيد التنكر بدرجة رائعة ، ولكنك لست خبيرًا بعلم ملامح الشعوب .. لقد اتخذت أنفا ولون قزحية لا يتفقان أبدًا .

حدّق (مارك) فى وجهه بدهشة ، ثم قال فى برُود :

ـــ رائع أيها المصرى .. سأوصى بالاستعانة بخبير مثلك ، عندما أعود إلى موطنى .

قال العالم فى حدة :

ـــ هذا لو قدّر لك أن تعود .

لم ينتبه إليه (مارك) هذه المرة ..

كان كل انتباهه مركزًا على نقطة خارج المنزل ، يتطلّع إليها عبر النافذة ..

وفى اهتمام كامل ، قال :

ـــ يبدو أن هذا الصحفى يحبك حقًّا يا فتاتى .

ارتجف جسد (نهلة) ، وامتلأ بالذعر ، عندما جذب (مارك) مشط مسدسه الآلى ، مستطردًا فى وحشية :

ـــ لقد وصل ..

* * *

قفز (عصام) خارج سيارة الأجرة ، التى أقلته إلى منزل (نهلة) ، وانطلق يقفز درجات السلم ، صاعدًا إلى شقتها ، وراح جسده يرتجف فى شدة ، من فرط الانفعال ، عندما بلغ بابها ، وطرقه فى لهفة ، فسمع صوت (مارك) الصارم يقول :

ـــ ادخلْ .. إنه مفتوح .

دفع (عصام) الباب .. ودخل ..

وهتفت (نهلة) :

ـــ (عصام) !.. لِمَ أتيت ؟

نطقتها بلهجة عجيبة ، تجمع ما بين الخوف والسعادة ..

الخوف على مصيره ومصيرها مع والدها ..

والسعادة لأنه أتى إليها ..

ولم يجب (عصام) عن تساؤلها ..

لقد بقى صامتًا ، وهو ينقل بصره بين وجه (مارك) ومسدسه ، قبل أن يقول هذا الأخير فى حزم :

— أين الصورة ؟

ازدرد (عصام) لعابه فى صعوبة ، وقال :

— كيف أضمن حياتنا ، بعد أن أمنحك إياها ؟

صمت (مارك) لحظات ، ثم أجاب فى حزم :

— لا ضمانات .. ستمنحنى إياها فحسب .

قال (عصام) فى صرامة :

— كلا .. قد تقتلنى بعدها .

صاح (مارك) فى غضب :

— وقد أقتلك الآن ، وأستخلصها من جثتك .

أجابه (عصام) فى توتر :

— ولكنك لن تفعل .

رفع (مارك) فوّهة مسدسه ، وصوّبها إلى رأس (عصام) ، وهو يقول فى حدة :

— من يضمن لك أننى لن أفعل ؟

أجابه (عصام) فى حزم :

— شكك فى ألا تكون هذه هى تجربة الإظهار الوحيدة .

انعقد حاجبا (مارك) فى حدة ، وهو يقول :

— سأخاطر .

تراجع (عصام) ، وهو يلوّح بكفه ، قائلًا :

— مهلًا .. ما رأيك لو عقدنا اتفاقًا معقولًا ؟

صاح (مارك) فى غضب :

— لقد عقدناه بالفعل .

ثم جذب إليه (نهلة) فى عنف ، وألصق فوهة مسدسه برأسها ، هاتفًا :

— ها هوذا .

توترت كل عضلة فى جسد (عصام) ، وارتفع صوت الدكتور (أحمد شديد) يهتف فى غضب :

— اتركها أيها الحقير .

صاح (مارك) ، وهو يجذب شعرها فى قسوة ، وكأنما يتعمّد دفعها إلى التأوه ألمًا :

— ما رأيك أيها الصحفى الهمام ؟.. الصورة مقابل حياتها .

هتف (عصام) :

— اتفقنا .

ثم مد يده إلى جيب سترته الداخلى ، فهتف به (مارك) فى صرامة :

— ببطء .. وبإصبعين فقط .

أطاع (عصام) أوامره ، والتقط حافظته من جيب سترته الداخلى ، مستخدمًا سبَّابته ووسطاه فحسب ، وقال :

— هل تسمح لى بالتقاط الصورة منها ؟

أجابه فى توتُّر :

— افعل .. هيَّا .. لست أتميَّز بالصبر .

التقط (عصام) من داخل الحافظة صورة صغيرة ، ناوله إياها ، وهو يقول :

— ها هى ذى .

مدّ (مارك) يده فى لهفة ، ليلتقط الصورة ، وهو يقول :

— أحسنت أيها الصحفى .

وفجأة تحرَّكت قدم (عصام) ..

لقد اندفع إلى الأمام فى سرعة مفاجئة ، وركل (مارك) فى صدره ، ثم انتزع (نهلة) من بين يديه ، ودفعها نحو والدها ، الذى تلقَّاها بين ذراعيه فى لهفة ..

وتراجع (مارك) فى غضب ، ثم رفع مسدسه فى وجه (عصام) ، صائحًا :

— إذن فأنت ترغب فى الموت كبطل .. فليكن .. مت كبطل .

* * *

لم يكد (مارك) ينطق بعبارته ، حتى دوى صوت تهشم زجاج عنيف ، واندفع جسد (عصمت) عبر النافذة ، نحو (مارك) ، الذى أدار جسده كله فى استجابة مذهلة إلى خصمه الجديد ، وضغط الزناد ..

وانطلقت رصاصات مسدس (مارك) ، ولكنها كلها أخطأت جسد (عصمت) ، الذى ارتطم بخصمه ، وأوقعه أرضًا ، وهو يهتف :

— ها نحن أولاء نلتقى مرة أخرى أيها الوغد .

وبضربة عنيفة ، أطاح بمسدس (مارك) ، ثم كال له لكمة كالقنبلة فى وجهه ..

وسقط (مارك) هذه المرَّة ..

سقط على نحو بدا عجيبًا ..

كان كما لو أنه بالون فقد كل ما يحويه من هواء دفعة واحدة ..

ولقد أدهش ذلك الجميع ..

ولكن (مارك) كان خبيثًا كالثعلب ..

لقد كان سقوطه هذا مدروسًا ..

لقد انثنى جسده بغتة ، قبل أن يبلغ الأرض ، وقفز كله

فى مرونة ثعبان الكوبرا ، والتقط مسدسه ، ثم انقلب على ظهره ، وعاد يُطلق رصاصاته على (عصمت) ..

وفى هذه المرة تلقَّى ركلة من (عصام) ، جعلت رصاصاته تخطئ هدفها ، فصرخ فى غضب :

ـــ أيها الأوغاد .

ثم لكم (عصام) لكمة قوية ، وقفز خارج المنزل ..

وفى إصرار ، اندفع (عصمت) خلفه ، هاتفًا :

ـــ لن تفلت فى هذه المرة أيها الوغد ..

انطلقا يعدوان ، واحدًا فى أعقاب الآخر ، نحو سطح المنزل ، فى حين اندفعت (نهلة) نحو خطيبها (عصام) ، هاتفة :

ـــ (عصام) .. أأنت بخير ؟

نهض مغمغمًا :

ـــ نعم يا (نهلة) كِلانا بخير .

ثم التفت إلى حيث خرج (عصمت) و (مارك) ، مستطردًا فى قلق :

ـــ المهم أن نوقع بهذا الوغد .

فى اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كان (مارك) قد بلغ

سطح المبنى ، وانطلق نحو سوره الجانبى فى سرعة ، وقفز منه ، متجاوزًا ثلاثة أمتار فى الفراغ ، ليهبط على سطح المنزل المجاور..

ولم يتردَّد (عصمت) ..

إنه حتى لم يفكِّر فى الأمر ..

لقد تبعه بنفس الوسيلة ، وقفز خلفه ..

واستمرَّت مطاردتهما من سطح إلى آخر ، حتى انتهت فوق سطح منخفض ، وهنا التفت (مارك) إلى (عصمت) ، وأطلق عليه رصاصات مسدسه الآلى ، وهو يهتف :

ـــ أنت تحتاج إلى ضعفى مهارتك ، لتلقى القبض علىَّ أيها المصرى .

هتف (عصمت) ، وهو يحتمى بقائم خرسانى ضخم :

ـــ أخطأت أيها الحقير .. لقد خاطبتنى بلقب لا يستخدمه سوى الأجانب .. لقد فضحت نفسك دون أن تدرى .

صاح (مارك) غاضبًا ، وهو يطلق النار مرة أخرى :

ـــ المهم أن تحيا ، لتخبر الآخرين بما سمعته أيها المصرى .

أجابه (عصمت) فى صرامة :

ـــ سأحاول .

ابتسم (مارك) ، فى مزيد من السخرية والعصبية ، وهو يقول :

تحاول ؟!.. إنك سجين خلف هذا العمود الخرسانى يا فتى ، وأنت تعلم أننى محترف ، وإذا ما ظهر سنتيمتر واحد منك ، فستصيبه رصاصاتى حتمًا .

قال هذا ، وهو يتقدَّم نحو العمود الخرسانى فى حذر ..

كان يحاول الالتفاف حول (عصمت) ، واقتناصه غدرًا ..

ولقد أدرك (عصمت) هذا ..

سمعه الحاد التقط وقع أقدام (مارك) ، وهى تقترب ..

وأدرك أنه يقترب من يمينه ..

وكتم (عصمت) أنفاسه ، ولم ينطق بحرف واحد ..

وعاد (مارك) يقول :

ــ هل رأيت هذا من قبل أيها المصرى ؟.. إنك هنا ، فى أرضك وملعبك ، ولكنك سجين .

تجاهله (عصمت) تمامًا ، وهو يدرس وضعه ..

كان يعلم أن (مارك) محترف حقًا ، وأنه يتحرَّك بسرعة خرافية ، ويصيب هدفه فى إتقان حقيقى ..

وكان هذا يجعل موقفه دقيقًا للغاية ..

ومن ناحية ، كان (مارك) يزداد اقترابًا من مكمن

(عصمت) ، وهو يقول فى لهجة صارمة ، بدأت نبرات السخرية تتسلَّل إليها :

ــ هل تظن أنك ستبقى هناك إلى الأبد ؟ .. خطأ أيها المصرى .. إنك كالفأر الحبيس ، الذى ينتظره القط على باب جحره .. لا يمكنه أن يبقى هناك إلى الأبد .. لابد له من أن يغادر مكمنه حتمًا ، وعندئذ ينقض عليه القط ، و .....

قبل أن يتم عبارته ، رأى جسد (عصمت) يندفع من مكمنه ..

وبسرعته المعهودة ، أطلق (مارك) رصاصاته ..

وأصاب الهدف ..

ثم انتبه إلى خطئه بعد جزء من الثانية ..

بعد أن أصبح التراجع مستحيلًا ..

لقد أطلق النار على سترة خالية ..

سترة (عصمت) ، التى ألقاها بنفسه ..

ومن الناحية العكسية ، وخلال ذلك الجزء من الثانية ، قفز جسد (عصمت) الحقيقى ، وانطلقت من مسدسه رصاصة ، وهو يلقى نفسه أرضًا ..

وأصابت الرصاصة هدفها أيضًا ..

وفى قلب (مارك ليفى) تمامًا ، استقرت رصاصة ..
رصاصة مصرية ..

وترنح الجاسوس ، وجحظت عيناه ألمًا ودهشة ، وسقط مسدسه الآلى من قبضته ..

وكان آخر ما رآه هو جسد (عصمت) الذى انتظم فى اعتداد ، وكان آخر ما سمعه هو صوته القوى ، يقول :

ــ انتهت اللعبة أيها الحقير .. أنت ودولتك خسرتما .

وبعدها أظلمت الدنيا أمامه ..

وترنح لآخر مرة فى حياته المكتظة بالشرور والآثام ..
ثم هوى ..

هوى من فوق سطح المنزل إلى الأرض ..

ووقعت دماؤه على أرض (مصر) إقرارًا بنهاية قضية .. قضية القضايا ..

* * *

[تمت بحمد الله]

مغامرات ع × ٢

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للشباب
تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء ..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية القضايا

• سلسلة من أغرب وأشرس جرائم القتل ، تحدث كلها بلا رحمة ، على مدار يوم واحد ، ولسبب مجهول .. ويبحث فريق (ع × ٢) كله عن السبب ، وعن كيف ؟.. ولماذا ؟... وتكون القضية .. (قضية القضايا) ..

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وحاول أن تتفاءل مع الفريق .. وأن تربح ..

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن في مصر ١٠٠ قرشاً
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
(قضية الرقم المجهول)